المقدمة الزهراء

في

إيضاح الإمامة الكبرى

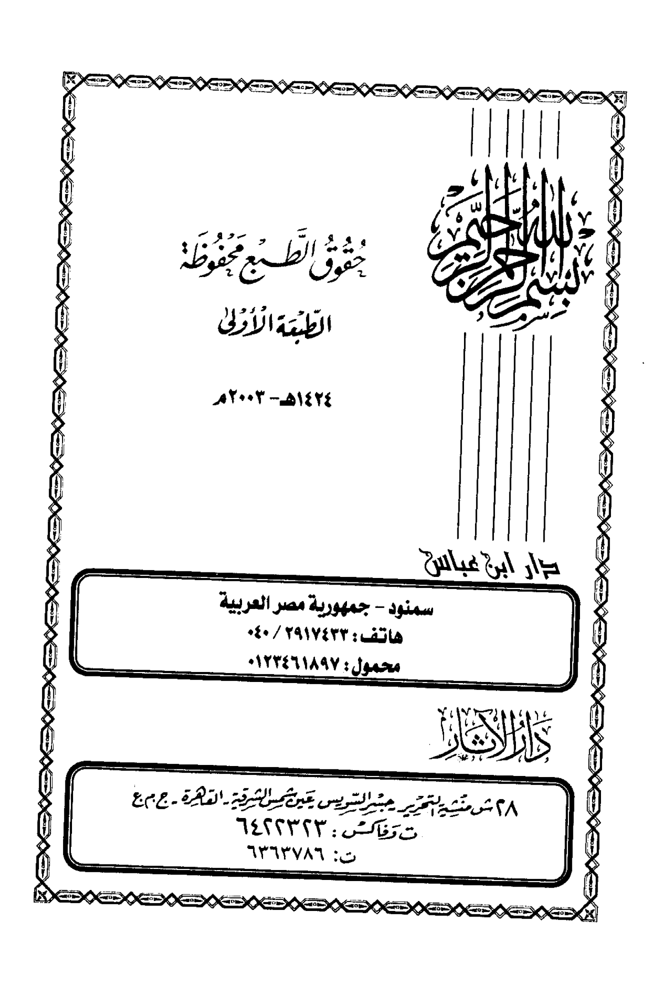
تصنيف الإمام

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

(٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)

دراسة وتحقيق

أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحُلْوَاني



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٩١٧٤٣٣ / ٠٤٠

محمول: ٠١٢٣٤٦١٨٩٧

دار الآثار

٢٨ ش منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع

ت وفاكس: ٦٤٢٢٣٢٣

ت: ٦٣٦٣٧٨٦

مقدمة المحقق

هذه رسالة لطيفة للإمام الذهبي عن الإمامة العظمى، وقد قمت بتحقيقها - بحمد الله تعالى - وتحتوي على أبحاث نافعة منها:

تحقيق قصة السقيفة والنص الصحيح فيها، وقصة التحكيم في دومة الجندل، وما أشيع من نسبة الغفلة لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ونسبة المكر لعمرو بن العاص رضي الله عنه والقول الصواب في هذه القصة.

كما أن فيها ردود على الروافض والشيعة ودعواهم الباطلة بخصوص أحقية علي للخلافة بل والرسالة.

وغير ذلك مما سوف يجده القارئ - إن شاء الله - بين حواشي الرسالة، والله أسأل أن يتقبلها بقبول حسن.

ولا أنسى أن أشكر أخي مكرم مسعد الذي قام بصف الرسالة ومقابلتها معي، ولم يأل جهدًا في التصويب ووضع علامات الترقيم.

كما أشكر الأخ الفاضل ياسرًا العيسوي على ما بذله في

إخراج الرسالة بهذا الشكل الطيب فجزاهما الله خيرًا، والله الموفق إلى ما فيه السداد وحسن طاعته.

المحقق

ترجمة الإمام الذهبي[(١)]

(١) من مصادر ترجمته: الوافي بالوفيات / للصفدي (٢ / ١٦٣). البداية والنهاية / لابن كثير (١٤ / ٢٢٥) . شذرات الذهب / لابن العماد (٦ / ١٥٣). طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص ٥١٧). طبقات الشافعية الكبرى (٩ / ١٠٠ ترجمة رقم ١٣٠٦). الدرر الكامنة / لابن حجر (٣ / ٤٢٦). البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ١١٠). غاية النهاية في طبقات القراء / لابن الجزري (٢ / ٧١). النجوم الزاهرة (١٠ / ١٨٢). نكت الهميان / للصفدي (ص ٢٤١). ذيل تذكرة الحفاظ / للحسيني (ص ٣٤ - ٣٧). الرد الوافر / لابن ناصر الدين (ص ٣١-٣٢). رونق الألفاظ / لسبط ابن حجر (ق ١٨٠). مقدمة سير أعلام النبلاء / لبشار عواد (١ / ٧ - ١٤٦). الذهبي ومنهجه في كتابه التاريخ / لبشار عواد. طبقات الشافعية / الإسنوي (١ / ٥٥٨ ترجمة رقم ٥١٤). الدارس في أخبار المدارس (١ / ٧٨) للنعيمي. وفيات الأعيان (٢ / ٣٧٠ ترجمة رقم ٣٩١) لابن خلكان. الدليل الشافي على المنهل الصافي (٢ / ٥٩١ ترجمة رقم ٢٠٢٩) لابن تغري بردي. هدية العارفين (٨ / ٢٨٩) لإسماعيل باشا. الأعلام (٦ / ٢٢٢) للزركلي. معجم المؤلفين (٨ / ٨٩) لعمر رضا كحالة. درة الحجال في أسماء الرجال (٢/ ٢٥٦-٢٥٨) لابن القاضي. الوفيات لابن رافع السلامي (٢/ ٥٥-٥٦). =

أولا: اسمه وكنيته

هو الشيخ الإمام الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، شيخ المحدثين، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي التركماني الفارقي، ثم الدمشقي الشافعي المقرئ.

ثانيًا: أصله

يرجع الذهبي إلى أصول تركمانية؛ فقد قال الذهبي عن جد أبيه قايماز:

«قايماز ابن الشيخ عبدالله التركماني الفارقي جد

= مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/ ٢٣٩). الإمام الذهبي لعبد الرحمن النحلاوي - صفحات في ترجمة الذهبي لقاسم علي سعد. الحافظ الذهبي لعبد الستار الشيخ - مقدمة العلو للعلي الغفار وقد نقلت أكثرها. مقدمة معرفة القراء الكبار، طبعة تركيا. مقدمة التاريخ الكبير بتحقيق د . محمد عبد الهادي شعيرة .

أبي. . .»[١] وكذا قال في جده عثمان[٢].

فهو من أسرة تركمانية الأصل، سكنت مدينة مَيَّافارقين، من أشهر مدن ديار بكر[٣]، باعتبارها المدينة التي تجمّع فيها التركمان أولاً، والمدينة التي قامت فيها دولة تركمانية، فيقال: الفارقي، وهذه هي النسبة الأغلب والأشهر. وكان أبوه وعمه ينسبان إلى ولاء الملك الظاهر غازي بن يوسف من البيت الأيوبي[٤].

ونسبة الذهبي إلى التركمان آتية من أنه تركماني الأصل دون أي قصد إلى الاعتداد أو التفاخر بتركيته، فإنه استعرب فصار علمًا للعرب حافظًا لتراثهم معتزًا بهم خاصة، وصار في نفس الوقت صاحب فضل عليهم وهذا هو فهمنا للنسب غير العربي في حالة الذهبي وفي حالة صلاح الدين الأيوبي وكل الحالات المماثلة في العصر

---

(١) أهل المائة فصاعدًا / للذهبي (ص ١٣٧) .

(٢) معجم الشيوخ (١ / ٤٣٦، ت رقم ٤٩٥) .

(٣) معجم البلدان (٤ / ٧٠٣) .

(٤) مقدمة الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة لتاريخ الإسلام صـ ٧ . طبعة دار الكتب المصرية .

الإسلامي الحديث[١].

ويرجع في ولائه[٢] إلى بني تميم، فقد ذكر بشار عواد في ترجمته للذهبي أن الذهبي كتب بخطه على طرة المجلد التاسع عشر من " تاريخ الإسلام " (نسخة أياصوفيا ٣٠١٢): «تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم»[٣].

ثالثًا: نسبته

الذهبي نسبة إلى صناعة الذهب، فقد كان والده شهاب الدين أحمد يمتهن صناعة الذهب المدقوق، وقد برع بها وتميز، وعُرف بالذهبي[٤].

(١) المصدر السابق صـ ٨ .

(٢) الولاء على ثلاثة أقسام: ١- ولاء عتق: وهو الغالب بحيث ينسب إلى من أعتقه ٢- ولاء إسلام: وذلك بأن يسلم العجمي على يد العربي ٣- ولاء حلف: وذلك بأن يكون الشخص حليفًا لقبيلة فينسب إليها . انظر المنهل الراوي من تقريب النواوي (ص ١٩٩ - ٢٠٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١ / ١٥) .

(٤) معجم الشيوخ (١ / ٧٥، ت رقم ٦٠)، وتاريخ الإسلام في وفيات سنة ٦٩٧ هـ .

وعرف (محمد) بابن الذهبي، نسبة إلى صنعة أبيه، وكان هو يقيد اسمه " بابن الذهبي "[1] وكان يكتبه في مؤلفاته وإجازاته والسماعات منه[2]..

وقد عُرف عند بعض معاصريه بـ " الذهبي " مثل: الصلاح الصفدي[3] وتاج الدين السبكي[4] والحسيني[5] وابن كثير[6].

رابعًا: مولده

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة[7].

(1) معجم الشيوخ (1 / 21) وانظر مقدمة سير أعلام النبلاء (1 / 16).

(2) انظر تعليق الشيخ أبو غدة على قاعدة الجرح والتعديل للسبكي صـ 38 الطبعة الخامسة، وقد ذكر أمثلة كثيرة لتعبير الذهبي عن نفسه بذلك في كثير من مؤلفاته فانظرها صـ 39- 41 . وذكر أمثلة لتسمية تلاميذه له بذلك في كتبهم صـ 41-43 .

(3) الوافي (2 / 163) ونكت الهميان (ص 241) .

(4) طبقات الشافعية الكبرى (9 / 100) .

(5) ذيل تذكرة الحفاظ (ص 34) .

(6) البداية والنهاية (14 / 225) .

(7) انظر: طبقات القراء (ص 459) .والوافي بالوفيات (2/ =

وقد ذكر الذهبي مولده هذا في ترجمة الركني الإلبيري في كتابه معرفة القراء الكبار[١].

وذكر ابن حجر أن مولده في الثالث من الشهر المذكور[٢].

وكان مولده في مدينة دمشق[٣]، في كفر بطنا من غوطة دمشق.

خامسًا: أسرته

عاش الذهبي في أجواء أسرة متدينة متعلمة ميسورة الحال، الأمر الذي ساعده على التحصيل العلمي منذ نعومة أظفاره.

فمن جهة والده، كان والده شهاب الدين أحمد بن

= ١٦٤)ونكت الهميان (ص ٢٤٢)، وذيل تذكرة الحفاظ (٣٤ / ٣٤٨)، وطبقات الحفاظ / للسيوطي (ص ٥١٨، ت رقم ١١٤٦)، وشذرات الذهب (٦ / ١٥٤) .

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي (١٣٥٨/٣) طبعة تركيا .

(٢) الدرر الكامنة (٣ / ٤٢٦) .

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٤) .

عثمان قد طلب العلم، وسمع الصحيح من المقداد القيسي سنة (٦٦٦هـ) وقد ترجم له الذهبي في معجم شيوخه[١] وقد توفي والده سنة (٦٩٧هـ).

وكذلك أفاد الذهبي من عمته ست الأهل بنت عثمان بن قايماز، وهي أمه من الرضاعة، وكان قد أجاز لها ابن أبي اليسر، وجمال الدين بن مالك، وزهير بن عمر الزرعي، وجماعة، وسمعت من عمر بن القواس وغيره.

فروى الذهبي عنها، وكانت وفاتها سنة (٧٢٩ هـ)[٢].

ولكن لم تكن أسرة والده عريقة في العلم مشهورة به، فجد الذهبي عثمان بن قايماز يقول عنه الذهبي: «رجل أُمِّيٌّ» وكان نجارًا، وقد توفي سنة (٦٨٣ هـ) وقد ترجم له الذهبي في معجم الشيوخ[٣].

وكذلك جد أبيه قايماز بن عبد الله، فلم يذكر الذهبي أن له اشتغالا بالعلم، وذكر أنه توفي عن مائة وتسع سنين، وقد عُمِّرَ وأضر بآخره، وكانت وفاته سنة إحدى

(١) معجم شيوخ الذهبي (١ / ٧٥، ت رقم ٦٠).

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٨٤ - ٢٨٥، ت رقم ٣١١).

(٣) المصدر السابق (١ / ٤٣٦، ت رقم ٤٩٥).

وستين وستمائة[١].

وأما من جهة والدته؛ فإنها ابنة علم الدين، أبي بكر سنجر بن عبد الله الموصلي، قال عنه الذهبي: «كان خيرًا عاقلا، مديرًا للمناشير بديوان الجيش، مات سنة (٦٨٠ هـ)»[٢].

وقد أفاد الذهبي من خاله علي بن سنجر بن عبد الله الموصلي، وقال في ترجمته: «الحاج المبارك، أبو إسماعيل - خالي - مولده في سنة ثمان وخمسين وستمائة، وسمع بإفادة مؤدبه ابن الخباز من أبي بكر الأنماطي، وبهاء الدين أيوب الحنفي، وست العرب الكندية، وسمع معي ببعلبك من التاج عبد الخالق وجماعة، وكان ذا مروءة وكد على عياله، وخوف من الله، توفي في الثالث والعشرين من رمضان سنة ست وثلاثين وسبعمائة»[٣].

---

(١) أهل المائة فصاعدًا للذهبي (ص ١٣٧) ومعجم الشيوخ (١ / ٤٣٦).

(٢) معجم الشيوخ (١ / ٢٧٥ - ٢٧٦، ت رقم ٣٠٥).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٢٧ - ٢٨، ت رقم ٥٢٩).

وأسرته كانت مستقرة في الأصل في " ميافارقين " عاصمة التركمان الكبرى. وللأسرة فروع منها: فرع حلب ومن هذا الفرع كان عم الذهبي أحمد بن عبد الله بن قايماز الحلبي الظاهري. وكان هذا العم سميًّا لوالد الذهبي، وبفضل هذا العم القريب تهيأ للذهبي أن يدرس في حلب على نحو ما ورد فعلاً في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٩) قال الذهبي: ونزلت عليه (أي العم أحمد بن عبد الله) بزاويته بالمقص وأكثرت عنه وانتفعت بأجزائه أحسن الله إليه[١].

وفي محيط أسرته أفاد الذهبي من زوج خالته فاطمة، واسمه: أحمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذهبي، المعروف بابن الحرستاني، وقد سمع الحديث ورواه، وكان حافظًا للقرآن الكريم، كثير التلاوة له، توفي بمصر سنة (٧٠٠ هـ)[٢].

ويظهر من كل ذلك بأن الذهبي قد نشأ وعاش صباه في عائلة متدينة متعبدة، تظلها أفياء العلم والمعرفة[٣].

(١) مقدمة التاريخ الكبير صـ ٧-٨ للدكتور شعيرة .

(٢) معجم الشيوخ (١ / ٦٨ - ٦٩، ت رقم ٥٤) .

(٣) مقدمة معرفة القراء الكبار (١/ ١٥) طبعة تركيا .

سادسًا: نشأته في طلب العلم

كانت أهم العوامل التي أثرت في التكوين العلمي للإمام الذهبي في بداية طلبه للعلم، أسرته وبلده.

أما أسرته فهو من أسرة متدينة متعلمة، ميسورة الحال، الأمر الذي ساعد - بعد توفيق الله تعالى - على دفع الذهبي إلى كتاتيب تعليم القرآن في صغره، والتفرغ بعد ذلك لطلب العلم وتحصيله من ريعان شبابه، بدلا من الانشغال في تحصيل قوته وطلب رزقه، ولم يكن يكدر صفو هذه النعمة إلا امتناع والده عن السماح له بالرحلة في طلب العلم، إلا في رحلات قصيرة لا تتجاوز أربعة أشهر؛ وذلك لخوفه عليه وشدة تعلقه به.

وقد عبر الذهبي عن تحسره لعدم الالتقاء ببعض الشيوخ لهذا المانع، من ذلك قوله: «وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفًا من الوالد؛ فإنه كان يمنعني»[1].

وقال في موضع آخر: «ولم يكن الوالد يمكنني من

(١) معرفة القراء للذهبي (ص ٥٥٦).

السفر»[١].

وأما العامل الثاني، فهو بلده دمشق التي كانت تجمع في ذلك العصر شموس العلم من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ المزي وغيرهما، فقد حظي الذهبي برفقة هؤلاء والإفادة منهم، وأضف إلى ذلك اشتهار دمشق في ذلك الحين بكبريات دور الحديث، كدار الحديث الظاهرية، ودار الحديث السكرية، ودار الحديث الأشرفية، وغيرها.

فقد كانت دمشق في ذلك العصر مركز إشعاع علمي، وخاصة في علوم الحديث، وخير شاهد على ذلك ما نراه بين أيدينا من مؤلفات وموسوعات علمية كتبت في تلك الحقبة الزمنية التي عاشها الذهبي.

وقد بدأ الذهبي حياته العلمية بحفظ كتاب الله - تعالى- وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وذلك على يد أحد المؤدبين، واسمه: علاء الدين علي بن محمد الحلبي، المعروف بالبصبص، حيث أقام الذهبي في مَكْتَبِهِ أربعة أعوام[٢].

---

(١) المصدر السابق (ص ٥٥١).

(٢) معجم الشيوخ (٢ / ٥٢ - ٥٣، ت رقم ٥٥٥).

ثم انتقل الذهبي بعدها إلى الشيخ مسعود بن عبد الله الأغزازي، فلقنه جميع القرآن، ثم قرأ عليه نحوًا من أربعين ختمة[١].

تلك هي بواكير دراسته، والتي تبعها بعد ذلك جلوسه في مجلس الشيوخ، وذلك ببلوغ سن الثامنة عشرة[٢] حيث تعد هذه السن عند الذهبي بداية مرحلة العناية بطلب العلم،وقد ركز في تلك المرحلة على علمين شريفين عظيمين هما:

علم القراءات وعلم الحديث، فلازم كبار علماء القراءات في عصره، حتى أصبح متقنًا لهذا وأصوله ومسائله، مما حذا بالشيخ محمد بن عبد العزيز الدمياطي - وهو من المقرئين المجودين - أن يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي عقب مرضه الذي توفي على أثره سنة (٦٩٣ هـ)[٣].

---

(١) المصدر السابق (٢ / ٣٣٩ - ٣٤٠، ت رقم ٩١٧).

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤)، الدرر الكامنة (٣ / ٤٢٦)، وتذكرة الحفاظ للسيوطي (٥١٧ - ٥١٨).

(٣) معجم الشيوخ (٢ / ٢١٨ - ٢١٩، ت رقم ٧٦٩).

وإن كان الذهبي لم يستمر في ذلك المنصب إلا قرابة السنة، بسبب انشغاله بالرحلة إلى طلب العلم[١].

وقد تلقى الذهبي علم القراءات على جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داود العسقلاني ثم الدمشقي، المعروف بالفاضلي عام ٦٩١هـ، والذي كان أحد تلاميذ عالم القراءات الشهير علم الدين علي بن محمد السخاوي المتوفى عام ٦٤٣هـ، وتلقى على جمال الدين إبراهيم بن غالب بن شاور البدوي الحميري[٢].

قال أبو المحاسن: «وكان قد جمع القراءات السبع على أبي عبد الله ابن جبريل المصري نزيل دمشق، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة»[٣].

قال عنه السيوطي: «وتلا بالسبع، وأذعن له الناس»[٤].

وأما علم الحديث، فقد كان له النصيب الأوفر عند الذهبي، حيث اعتنى به العناية الفائقة حتى أصبح هذا

---

(١) معرفة القراء (ص ٦٠٠).

(٢) معجم الشيوخ (١/ ١٣٥، ١٤٩).

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني صـ ٣٦.

(٤) طبقات الحفاظ (ص ٥١٨).

العلم هو شغله الشاغل طيلة حياته، فقد سمع الذهبي مئات الكتب والأجزاء الحديثية، ولعل نظرة في معجم شيوخه (المعجم الكبير) تبرهن لك على سعة اطلاعه وغزارة تحصيله في هذا الجانب، فضلا عن نتاجه الذي يشهد بتبوئه المنزلة العالية والمقام الرفيع بين مصاف أكابر هذا الفن.

قال عنه السيوطي: «وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل، وعني بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه»[(١)].

ومع عناية الذ ي بعلمي القراءات والحديث في تلك المرحلة؛ إلا أنه لم يهمل علوم العربية والأدب والتاريخ، فقد عُني بدراسة النحو فسمع " الحاجبية" على شيخه موفق الدين أبي عبدالله محمد بن أبي العلاء النصيبي المتوفى سنة (٦٩٥ هـ)[(٢)].

كما دَرَسَ على شيخ العربية، وإمام أهل الأدب في مصر آنذاك، الشيخ محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي،

---

(١) تذكرة الحفاظ للسيوطي (ص ٥١٨).

(٢) معجم الشيوخ (٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤، ت رقم ٨٩٥).

المتوفى سنة (٦٩٨ هـ)[١].

«إضافة إلى سماعه لعدد كبير من مجاميع الشعر واللغة والأدب»[٢].

وقد تعاطى الشعر، ونظم اليسير منه.

«واهتم بالكتب التاريخية، فسمع عددًا كبيرًا منها على شيوخه، في المغازي، والسيرة، والتاريخ العام، ومعجمات الشيوخ والمشيخات، وكتب التراجم الأخرى»[٣].

وقد مارس الذهبي تخصصه في علم الحديث وفي علم التاريخ على النمط الذي كان قائمًا في مصر والشام في القرن الثامن الهجري، وهو النمط المبني على الجمع بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين، وأساس هذا النمط هو تقسيم علم التاريخ إلى فرعين:

الفرع الأول:" علوم الطبقات والوفيات" وهو من أهم فروع التاريخ.

(١) المصدر السابق (٢ / ١٣٦ - ١٣٧، ت رقم ٦٥٩) .

(٢) مقدمة سير أعلام النبلاء (١ / ٣٢) .

(٣) المصدر السابق (١ / ٣٢) .

والفرع الثاني: هو فرع " الحوادث أو الأخبار " وعلى أساس هذا التقسيم بنى الذهبي تاريخه، وكذلك البرزالي وابن كثير[١].

وخلاصة القول: فقد اعتنى الذهبي في فترة تحصيله بشتى العلوم الدينية مع ما تحتاجه تلك العلوم من علوم الآلة ونحوها من العلوم المساعدة، مع أنه لم ينقطع عن التحصيل والسماع طوال حياته، يشهد لذلك معجمات شيوخه ومؤلفاته الموسوعية التي تؤكد دراسته لعدد ضخم من المؤلفات في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة، والأدب وغيرها.

وقد انعكس هذا التحصيل الواسع على مؤلفاته التي تشهد له بسعة الاطلاع، وغزارة الإنتاج مع القوة، والتمكن في مختلف العلوم.

سابعًا: رحلاته

رغم من أن والد الذهبي كان يمنعه من السفر والرحلة في طلب العلم وهو في مقتبل شبابه، إلا أن ذلك المنع لم يكن بالكلية، فقد سمح له والده ببعض الرحلات

(١) مقدمة التاريخ الكبير صـ ١٠ بتحقيق الدكتور شعيرة .

القصيرة، تمكن من خلالها الالتقاء ببعض العلماء خارج محيط بلده دمشق، ومن بين تلك الرحلات التي قام بها في أثناء حياة والده، رحلته إلى بعض المدن الشامية، ومنها: بعلبك، وحلب، وحمص، وحماة، وطرابلس، والكرك، والمعرة، وبصرى، ونابلس، والرملة، والقدس، وتبوك[١].

لكن أبرز رحلاته في هذه الفترة كانت إلى مصر، التي زارها في الفترة من رجب إلى ذي القعدة من عام (٦٩٥ هـ) مرورًا بفلسطين، وكان قد وعد والده أن لا يقيم في هذه الرحلة أكثر من أربعة أشهر[٢]، بسبب ذلك لم تطل فترة رحلته، ولكنه أفاد كثيرًا حيث سمع من شيوخها وكبار علمائها.

وفي سنة (٦٩٨ هـ) أي: بُعيد وفاة والده، رحل الذهبي للحج وسمع بمكة وعرفة ومنى والمدينة من مجموعة من الشيوخ[٣].

---

(١) انظر مقدمة سير أعلام النبلاء (١ / ٢٦).

(٢) معرفة القراء (ص ٥٥٨).

(٣) مقدمة سير أعلام النبلاء (١ / ٣١).

كما كانت له بعض الرحلات في تلك الفترة انحصرت في محيط البلاد الشامية.

قال عنه ابن الصفدي: «وارتحل وسمع بدمشق، وبعلبك، وحمص، وحماة، وحلب، وطرابلس، ونابلس، والرملة، وبِلبيس، والقاهرة، والإسكندرية، والحجاز، والقدس، وغير ذلك»[١].

ثامنًا: شيوخه

ذكر الصفدي أن عدد شيوخ الذهبي وصل إلى ألف وثلاثمائة شيخ[٢].

وقد حرص الذهبي على تدوين أسماء شيوخه الذين أفاد منهم عن طريق السماع أو الإجازة، فكتب معجم الشيوخ الكبير، والأوسط، والصغير اللطيف[٣]. وقد طبع معجم الشيوخ الكبير بتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة.

(١) نكت الهميان (ص ٢٤٢) وانظر شذرات الذهب (٦ / ١٥٤ - ١٥٥)، وذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٤).

(٢) انظر: نكت الهميان (ص ٢٤٣).

(٣) توجد له نسخة في (الظاهرية: مجموع: ١٢)، وقد طبع.

وقال الذهبي في مقدمته: «أما بعد؛ فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد بن عثمان...» إلى أن قال: «يشتمل على ذكر من لقيته أو كتب إلي بالإجازة في الصغر، وعلى كثير من المجيزين لي في الكبر ولم أستوعبهم، وربما أجاز لي الرجل ولم أشعر به، بخلاف من سمعته منه؛ فإني أعرفه»[(١)].

ولسنا بصدد ذكر الجم الغفير من شيوخ الذهبي، ولكن نشير إلى أن الذهبي حظيي برفقة ثلاثة من مشاهير عصره الذين طبقت سمعتهم الآفاق، وهم:

١- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦١هـ - ٧٢٨ هـ).

٢- العلامة الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي (٦٥٤ هـ - ٧٤٢ هـ).

٣- العلامة الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (٦٦٥ هـ - ٧٣٩ هـ).

(١) معجم الشيوخ الكبير (١ / ٢١) وقد ذكر محقق الكتاب أن مجموع ما اشتمل عليه الكتاب من التراجم (١٠٤٢) حسب نسخة دار الكتب المصرية، وأما نسخة استنبول؛ فقد احتوت على (١٢٧٨) ترجمة.

وكان للذهبي مع هؤلاء الأعلام صحبة وملازمة، وكان الذهبي أصغر الجميع سنًّا، وكان أبو الحجاج المزي أكبرهم، وكان بعضهم يقرأ على بعض؛ فهم شيوخ وأقران في الوقت ذاته، يجمعهم التمسك بعقيدة السلف الصالح والرغبة في تعلمها ونشرها والدفاع عنها، وحبهم لعلم الحديث والاشتغال به وحرصهم على اتباع آثار السلف الصالح.

وقد تركت تلك الصحبة آثارها القوية على شخصية الذهبي وتكوينه العلمي، ويظهر ذلك جليًّا في كتاباته.

وقد ساعد على تكوين الذهبي لتلك العلاقة والصلة الوثيقة بهؤلاء الأعلام، مع أن فارق السن كان بينه وبين المزي تسع عشرة سنة، وبينه وبين ابن تيمية اثنتا عشرة سنة - ما حباه الله به من الذكاء وقوة الحافظة، الأمر الذي ساعده على ملازمة هؤلاء الأعلام ومجاراتهم مع ما تميزوا به من علم واسع وذكاء مفرط.

وقد أثنى الذهبي الثناء العطر على هؤلاء الأعلام، وامتدحهم في كتاباته، واعترف لهم بالفضل والجميل[1].

(١) انظر معجم الشيوخ (١ / ٥٦ - ٥٧)، (٢ / ١١٥ - ١١٧)، (٢ / ٣٨٩ -٣٩٠).

تاسعًا: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

تصدر الذهبي مرتبة الإمامة في عدد من العلوم، فهو إمام في علم القراءات، وإمام في علوم الحديث، وإمام في علم التاريخ.

أما في علم القراءات:

فقد قال عنه ابن ناصر الدين المتوفى سنة (٨٤٢ هـ): «كان إمامًا في القراءات»[١].

وقال ابن الجزري: «الأستاذ، الثقة الكبير»[٢].

وقد اعتنى الذهبي بهذا الفن في مرحلة مبكرة من حياته، ومن مؤلفاته في ذلك كتاب " التلويحات في علم القراءات " وكتاب " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار " إلا أنه مع اتقانه لهذا الفن لكنه لم يتفرغ له، كما ذكر ذلك ابن الجزري[٣]، ولعل ذلك بسبب انشغاله

---

(١) الرد الوافر (ص ٣١) .

(٢) انظر غاية النهاية في طبقات القراء (٢ / ٧١) .

(٣) المصدر السابق .

بعلوم الحديث.

أما في علوم الحديث:

فقد تفانى الذهبي في خدمة علوم الحديث، وأكثر من التصنيف فيها، ولقيت مؤلفاته القبول عند الناس، فهذا ابن حجر يقول: «ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها قراءة ونسخًا وسماعًا»[1].

ولا غرابة في ذلك فالإمام الذهبي بلغ منزلة عالية ودرجة رفيعة بسبب ما حباه الله عز وجل من صفات وخصائص علمية تميز بها، واسمع إلى وصف بعض تلاميذه له - وهو صلاح الدين الصفدي - حيث قال: «محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارَى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس، مع ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتمائه، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف ووفر بالاختصار مئونة التطويل في

(١) الدرر الكامنة (٣ / ٤٢٧) .

التأليف...» إلى أن قال: «ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كوذنة - أي: بلادة - النقلة؛ بل هو فقيه النظر، له دربة بأقوال الناس، ومذاهب أئمة السلف، وأرباب المقالات، وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثًا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن في رواة، وهذا لم أر غيره يعاني هذه الفائدة فيما يورده»[١].

وإمامة الذهبي في هذا الشأن لا يختلف فيها اثنان، ولذلك قال السيوطي:

«إن المحدثين الآن عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر»[٢].

وقال عنه التاج السبكي: «شيخنا وأستاذنا، محدث العصر اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ - وبينهم عموم وخصوص - المزي، والبرزالي، والذهبي، والشيخ الوالد، لا خامس لهم في عصرنا، فأما أستاذنا أبو

(١) نكت الهميان (ص ٢٤١ - ٢٤٢)، والوافي بالوفيات (٢/١٦٣).

(٢) تذكرة الحفاظ للسيوطي (ص ٥١٨).

عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنى ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، وكان محط رحال المعنت، ومنتهى رغبات من تعنت، تعمل المطي إلى جواره، وتضرب البزل المهارى أكبادها؛ فلا تبرح أو تبيد نحو داره، وهو الذي خَرَّجَنا في هذه الصناعة وأدخلنا في عداد الجماعة...» إلى أن قال: «وسمع من الجم الكثير، وما زال يخدم هذا الفن حتى رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير لقبه الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر، ولا يدبر إذا أقبلت الليال، وأقام بدمشق يُرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»[١].

وقال عنه البدر النابلسي: «كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم، حديد الفهم، ثاقب الذهن، وشهرته تغني عن

---

(١) طبقات الشافعية (٩ / ١٠٠)، شذرات الذهب (٦ / ١٥٣ - ١٥٥).

الإطناب فيه»[١].

وقال ابن حجر: «ومهر في فن الحديث، وجمع فيه المجاميع المفيدة والكثيرة»[٢].

ومن أشهر كتبه في هذا المجال " ميزان الاعتدال في نقد الرجال ".

وقال الحسيني: أجاز له خلق من أصحاب ابن طبرزد وحنبل والكندي وابن الحرستاني وخرج لجماعة من شيوخه، وجرح وعدل، وفرّع وأصّل، وصحح وعلل، واستدرك وأفاد، وانتقى واختصر كثيرًا من تواليف المتقدمين والمتأخرين، وصنف الكتب المفيدة السائرة في الآفاق[٣] ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة، وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان، وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين، وولي مشيخة الظاهرية قديمًا ومشيخة النفيسية والفاضلية

---

(١) الدرر الكامنة (٣ / ٤٢٧) .

(٢) المصدر السابق (٣ / ٤٢٦) .

(٣) ذيل العبر للحسيني ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

والتنكزية وأم الملك الصالح[١].

وأما في علم التاريخ والتراجم:

فالذهبي صاحب الموسوعات الكبار في هذا المجال، والتي أهمها " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " و " سير أعلام النبلاء " و " العبر " و "دول الإسلام " و" تذكرة الحفاظ "، وغيرها كثير، وقد أظهر الذهبي في تلك المؤلفات براعة في العرض، ودقة في التحليل والنقد، مع غزارة في المعلومات، تشهد له بالذكاء والعبقرية وقوة الحافظة، لدرجة أن ابن حجر - مع فضله وجلالة قدره - شرب ماء زمزم سائلا الله أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ والفطنة[٢].

وقد عول الكتاب والعلماء على مؤلفاته، وأصبحت عمدة لهم فيما كتبوا وألفوا من بعده.

وقد عد الذهبي والمزي أكبر المؤرخين في القرن الثامن[٣].

(١) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني صـ ٣٥ -٣٦ .

(٢) الإعلام للسخاوي (ص ٤٧٢) .

(٣) المصدر السابق (ص ٦٧٤) .

عاشرًا: عقيدته

عرف الذهبي - رحمه الله - بمواقفه التي تدعو إلى التمسك بعقيدة السلف الصالح علمًا واعتقادًا وعملا ودعوة وتعليمًا، ويظهر ذلك جليًّا لمن اطلع على مصنفاته، سواء ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد مثل كتاب " العلو " وكتاب " العرش " و" صفة النار " و"رؤية الباري "، و" الروع والأوجال في نبأ المسيح الدجال "، " وما بعد الموت "، و " مسألة دوام النار"، و" مسألة الوعيد " وكتاب " الأربعين في صفات رب العالمين "، و" إثبات الشفاعة " "ورسالة " التمسك بالسنن والتحذير من البدع " وغيرها، أو كتبه الأخرى في علوم الحديث وغيرها.

فقد سطر الذهبي ببراعة معتقد السلف وأثبته في تلك الكتب، ونافح ودافع عن عقيدة أهل السنة وأثنى على أهلها بما يستحقونه من الأوصاف، كما أبرز جهودهم العلمية والعملية في نشر السنة ونصرتها، وفي الوقت ذاته سلط قلمه على أهل البدع والأهواء، فما يمر على صاحب

بدعة إلا ويشير إلى بدعته، ويبين وجه انحرافه، وقول أهل السنة فيه وفي بدعته، وإن كان في بعض الأحيان يوجد في كلامه بعض التساهل مع بعض المبتدعة لكنه قليل ومحدود.

والحقيقة التي يجب الإشارة إليها والإشادة بها في هذا المقام، أن الذهبي قام رحمه الله على ثغرة عظيمة، هي علم الرجال والتراجم، فاعتنى بها واهتم بأمرها اهتمامًا كبيرًا، حتى أصبحت محور تفكيره وأساس كثير من كتبه، فقام بخدمة هذا الجانب خير قيام، وذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة، على غرار ما فعل شيخه وصاحبه شيخ الإسلام ابن تيمية في خدمة مسائل الاعتقاد والرد على أصحاب المقالات، فكل من الإمامين قام على ثغرة، وقام بأكبر خدمة.

فقد شوه أصحاب البدع وأرباب المقالات حقائق التاريخ وسير العلماء بما دسوا فيها من الأكاذيب والأباطيل، كما فعلوا في مسائل الاعتقاد الأمر ذاته.

فتصدى الذهبي - رحمه الله تعالى - للجانب التاريخي، فوضع الأمور في نصابها وأوضح بجلاء سير أعلام السنة على وجهها الصحيح، وحلاها بأجمل الحلل

وكساها أبهى العبارات.

وقام في الوقت ذاته بفضح أهل البدع والأهواء وكشف باطلهم، الأمر الذي أثار حفيظة أهل البدع والأهواء، ونقمتهم على كتب الإمام الذهبي؛ لما لها من ثقل ووزن في فنها، فهي تعد غصة في حلوق أهل الكلام والمتصوفة والرافضة ومن على شاكلتهم؛ لكونها كشفت عورات زعمائهم وأظهرت بطلان عقائدهم.

وكان الذهبي معروفًا في حياته بمواقفه الصلبة من العقائد المنحرفة وأهلها، كما اشتهر عنه صلته الوثيقة وموافقته لشيخ الإسلام ابن تيمية في نصرة السنة ومحاربة البدع، الأمر الذي جعل الأشاعرة من الشافعية بدمشق يمانعون في توليه لمشيخة أكبر دار للحديث بدمشق حينذاك، وهي دار الحديث الأشرفية، التي شغرت مشيختها بعد وفاة رفيقه المزي سنة (٧٤٢ هـ) رغم ترشيح قاضي القضاة علي بن عبد الكافي السبكي أن يعين الذهبي لها، وكان السبب في رفضهم كون الذهبي ليس بأشعري[١].

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٦ / ١٧٠ - ١٧١).

ومعلوم أن الصراع كان على أشده في ذلك الحين بدمشق بين أنصار المنهج السلفي وخصومهم من أهل الكلام والمتصوفة.

فرحم الله الذهبي، وجزاه عن السنة، وأهلها خير الجزاء، ولكن مع ذلك كله فللذهبي بعض المواقف المخالفة في المسائل المتعلقة بالقبور وتعظيمها، لا يُقر عليها ولا يوافق[١].

حادي عشر: مؤلفاته

الإمام الذهبي من المصنفين المكثرين في علوم شتى، وهو يعد من مؤرخي الإسلام الذين اهتموا بجمع موسوعات في التاريخ والرجال والحديث والقراءات والعقيدة، وغير ذلك من العلوم.

كما اشتهر بعمل مختصرات لكثير من الكتب.

ومن أشهر مصنفاته:

١) سير أعلام النبلاء.

(١) انظر - ذلك على سبيل المثال -: معجم الشيوخ (١ / ٧٣)، السير (١٠ / ١٠٧)، (٤ / ٤٨٤ - ٤٨٥).

٢) تاريخ الإسلام.

٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

٤) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة.

٥) تذهيب تهذيب الكمال وهو ما زال مخطوطًا.

٦) تذكرة الحفاظ.

٧) معرفة القراء الكبار.

٨) تلخيص المستدرك.

٩) الكبائر.

١٠) تنقيح التحقيق وهو تعليق على كتاب التحقيق في "مسائل الخلاف" لابن الجوزي.

١١) المعين في طبقات المحدثين.

١٢) المغني في الضعفاء.

١٣) ديوان الضعفاء وذيله، وطبع بتحقيق العلامة الشيخ حماد الأنصاري "رحمه الله ".

١٤) المقتنى في سرد الكنى.

١٥) العلو للعلي العظيم.

١٦) العرش وما روي فيه.

١٧) إثبات الشفاعة، وقد طبع بتحقيق إبراهيم باجس.

١٨) تشبيه الخسيس بأهل الخميس وموضوعها التحذير من التشبه بأهل الكتاب، وقد طبع بتحقيق على حسن عبد الحميد.

١٩) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو مختصر لكتاب " منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ".

٢٠) كتاب الأربعين في صفات رب العالمين، ويوجد الجزء الأول منه في الظاهرية، وحققه عبد القادر محمد عطا، وطبع بمكتبة العلوم والحكم.

٢١) مختصر كتاب الزهد للبيهقي.

ذكره ابن العماد في الشذرات (٦ / ١٥٦).

وذكر د/ بشار عواد أن له نسخة خطية في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٢٢) مختصر في الرد على ابن طاهر المقدسي في تجويز السماع، وله نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

٢٣) كتاب التمسك بالسنن

ذكره ابن العماد في الشذرات (٦ / ١٥٦).

وقام بتحقيقه الدكتور محمد با كريم محمد با عبد الله، ونشر في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٠٣).

٢٤) المقدمة الزهراء في إيضاح الإمامة الكبرى، وهي رسالتنا، وسيأتي الكلام عليها في وصف نسخ الرسالة.

ثاني عشر: تلاميذه

تتلمذ على يد الذهبي المئات من التلاميذ، وقد قال عنه تلميذه الحسيني:

«وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق»[١].

وقال السبكي: «وسمع منه الجم الكثير»[٢].

ومن ينظر في كتب القرن الثامن يجدها زاخرة بمئات من التلاميذ الذين أفادوا من الذهبي ولعل من أشهر من أفاد وسمع منه من نظرائه:

١- الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) صاحب كتاب "تفسير القرآن

(١) ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٦).

(٢) انظر: شذرات الذهب (٦ / ١٥٤).

العظيم"، وكتاب " البداية والنهاية "[١].

٢- الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الحسن بن محمد السلامي البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة (٧٩٥ هـ)[٢] صاحب " جامع العلوم والحكم " و " لطائف المعارف " وقد جَمَعْتُ رسائله وطبع منها ثلاث مجلدات تحتوي على ٣٥ رسالة وأنا بصدد إخراج المجلد الرابع إن شاء الله[٣].

ومن أشهر تلاميذه:

١- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) صاحب كتاب " الوافي بالوفيات ".

٢- شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة (٧٦٥ هـ) صاحب " ذيل تذكرة الحفاظ ".

٣- تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي،

---

(١) المصدر السابق (٦ / ٢٣١).

(٢) الدرر الكامنة (٢ / ٣٢١).

(٣) تم طبع مجموع رسائل الحافظ بن رجب الحنبلي بمطبعة «الفاروق الحديثة» بتحقيقي.

المتوفى سنة (٧٧١هـ) صاحب "طبقات الشافعية الكبرى" .

ثالث عشر: وفاته

توفي الذهبي - رحمه الله تعالى - قبل منتصف ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وكان قد بلغ من العمر - حينذاك - خمسة وسبعين عامًا وسبعة أشهر.

وكانت وفاته بدمشق، ودفن رحمه الله بمقبرة الباب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء.

ورثاه صلاح الدين الصفدي بقوله:

أشمس الدين غبتَ وكلُّ شمس
تغيب وزال عنا ظلُّ فضلِك
وكم ورخت أنت وفاةَ شخص
وما ورخت أنت وفاة مثلك[(١)]

وكان رحمه الله قد كف بصره قبل موته بسبع سنين، قال

(١) انظر درة الحجال لابن القاضي (٢/٢٥٧) .

تلميذه الحسيني: «أضر في سنة إحدى وأربعين، ومات في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير، رحمه الله تعالى»[١].

وقال الصفدي بوقوع تلك الحادثة قبل أربع سنوات أو أكثر من وفاته[٢]. قال تاج الدين السبكي: كان قد أضر قبل وفاته بمدة يسيرة[٣]. وأقر ذلك السيوطي فقال: «وقد أضر قبل موته بيسير»[٤].

☆☆☆

(١) ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٦).

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ١٦٥).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢١٧).

(٤) ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٤٩.

توثيق نسبة النسخة للإمام الذهبي

١) ذكره الزركلي في الأعلام.

٢) ما جاء على طرة الرسالة حيث كتب: المقدمة الزهراء في إيضاح الإمامة الكبرى لمولانا وسيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة، آخر المحدثين وإمام البلغاء والمؤرخين، البارع البليغ شمس الدين الذهبي، تغمده الله برحمته آمين.

نسخ الرسالة ووصفها

لها نسختان:

إحداهما: من مصورات دار الكتب المصرية برقم ٥٩ عقائد تيمور، وتقع في ٩ ورقات وعدد الأسطر ١٧ سطر في كل ورقة.

ثانيهما: ذكرها الدكتور رمضان ششن في كتابه نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا (٢ / ٢٢).

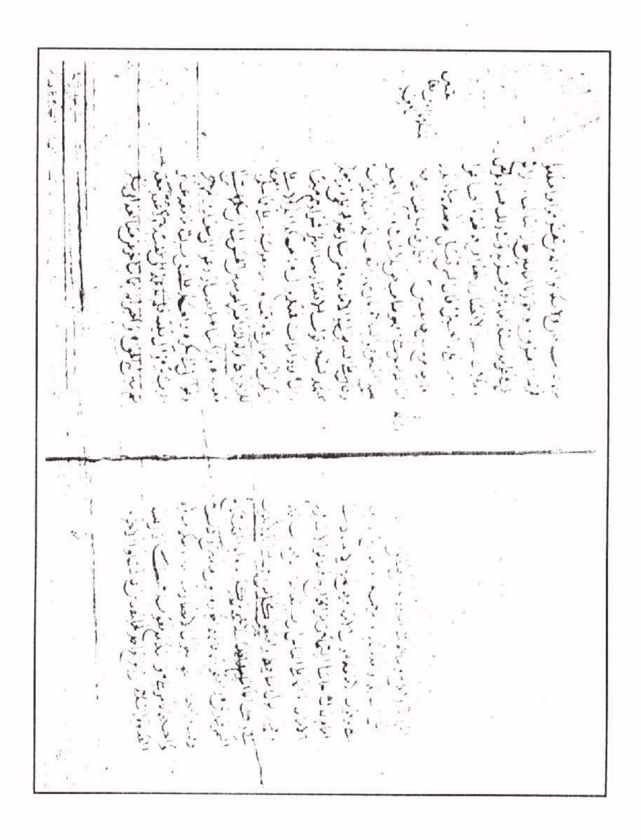
وأشار إلى وجود نسخة لها في مكتبة "رئيس الكتاب برقم: (١١٨٥ / ٢)" كتبت في ق ١٢، من ١٢٦ ب إلى

١٣٣ ب.

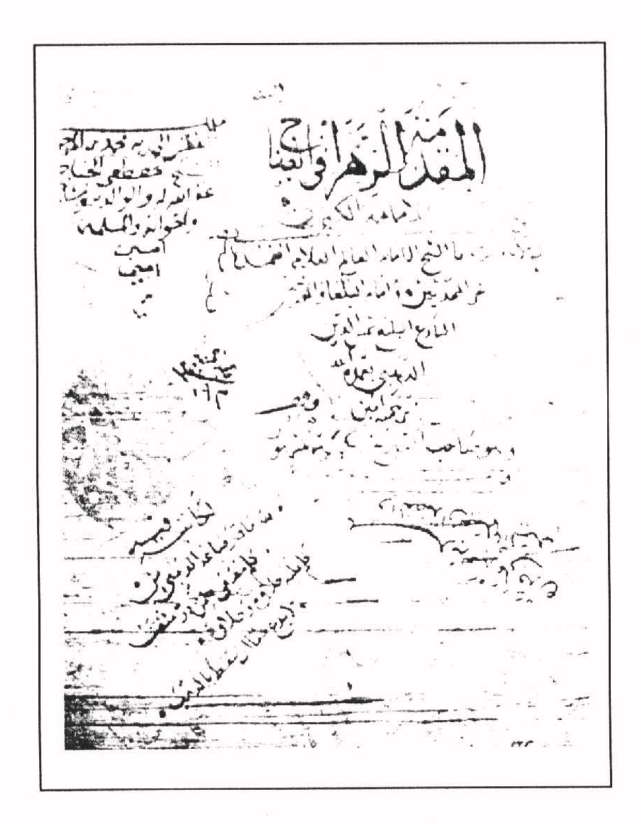
وذكر الدكتور طيار آلتي قولاج محقق معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٣٩) طبعة تركيا أنها لطيفة تتعلق بالإمام العظمي (مكتبة نور عثمانية باستانبول رقم ٤٩٦، والورقة ٢٠-٣٣).

ولها نسخة مصورة في الجامعة الإسلامية برقم (٩٥٧٣/ ٤) وجاء في أولها: «وهذا كلام لخصته من كلام ابن حزم وغيره في الإمامة العظمى...».

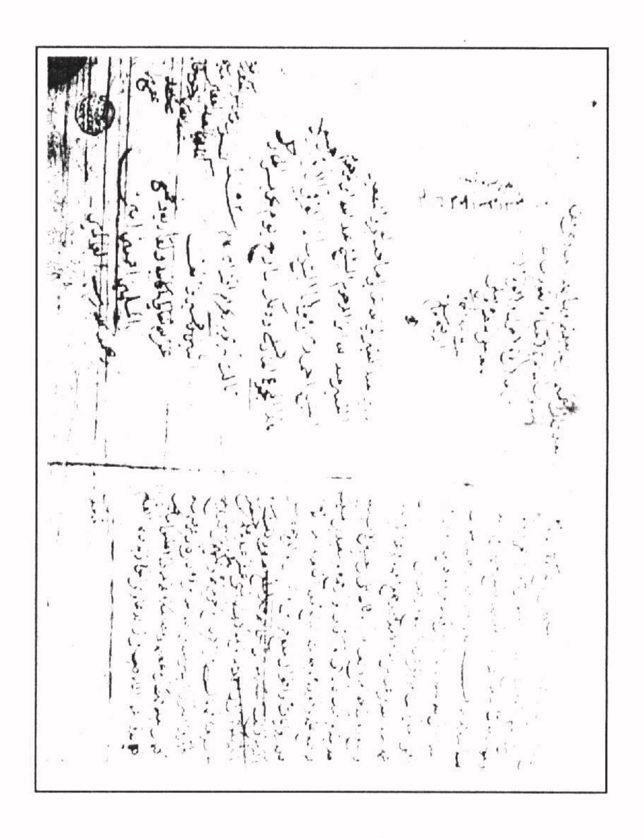
☆☆☆



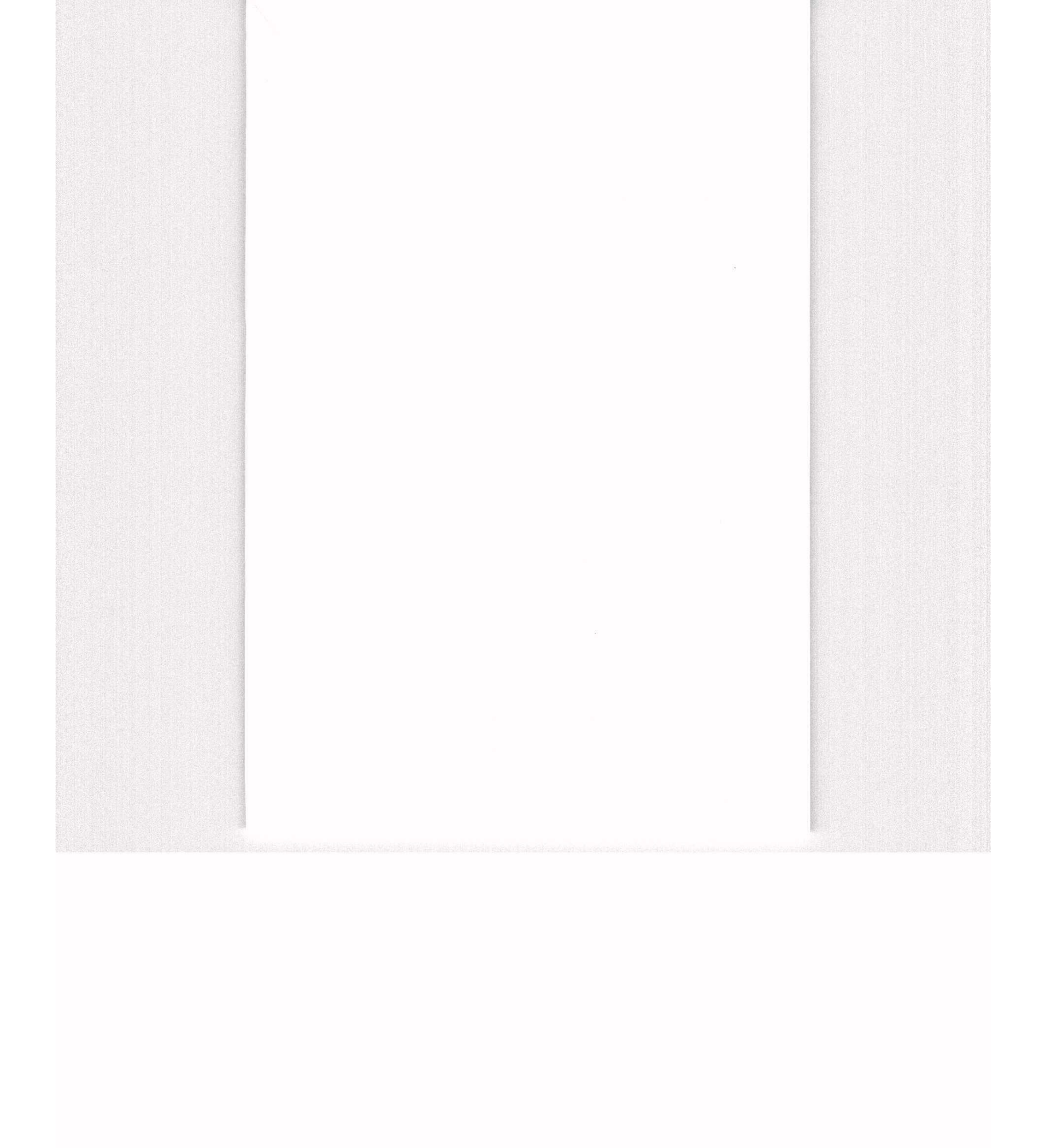
نماذج من النسخة الخطية التي اعتمدت عليها



صورة الغلاف



صورة الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب



التعريف اللغوي للإمامة:

الإمامة في اللغة: مصدر من الفعل " أَمَّ " تقول: «أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره»[(١)].

ويقول ابن منظور: «الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين... والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وأتم به: اقتدى به.

والإمام: المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم وإمام المثال ما امتثل عليه، والإمام: الخيط الذي يُمَدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء» اهـ[(٢)].

وقال صاحب تاج العروس: «والإمام: الطريق الواسع،

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (٤ / ٧٨) دار الجيل: بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (١٢ / ٢٤) مادة (أمم) دار صادر، ودار بيروت - بيروت ط ١٣٨٨ هـ .

وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1] أي: بطريق يُؤم - أي يقصد فيتميز.

قال: «والخليفة إمام الرعية، قال أبو بكر: يقال فلان إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيسًا كقولك: إمام المسلمين» قال: «والدليل: إمام السفر، والحادي: إمام الإبل، وإن كن وراءها؛ لأنه الهادي لها...»[2] اهـ.

وقال الجوهري في الصحاح: «الأَمُّ - بالفتح -: القصد، يقال: أمّه وأممه وتأممه إذا قصده»[3] إلى غير ذلك من المعاني المقاربة.

ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذه الألفاظ عند أصحاب اللغة.

---

(١) الحجر: ٧٩ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (٨ / ١٩٣) دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (٥ / ١٨٦٥) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - ط ثانية ١٣٩٩ هـ دار العلم للملايين - بيروت .

التعريف الاصطلاحي:

أما من حيث الاصطلاح؛ فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني، ومن هذه

التعريفات ما يلي:

١) ما ذكره الماوردي حيث قال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به» اهـ[١].

٢) ويقول إمام الحرمين الجويني: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة

٣) تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا» اهـ[٢].

٤) وعرفها النسفي في عقائده بقوله: «نيابة عن الرسول؟

(١) الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي (ص ٥) - ط الثالثة ١٣٩٣ هـ مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم لأبي المعالي الجويني (ص ١٥) - ط أولى ١٤٠٠ هـ دار الدعوة - الإسكندرية تحقيق د / مصطفى حلمي، د / فؤاد عبد المنعم .

في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الاتباع»[١].

٥) ويقول صاحب المواقف: «هي خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة»[٢].

٦) أما العلامة ابن خلدون فيعرفها بقوله: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[٣] اهـ.

٧) ويقول الأستاذ محمد نجيب المطيعي: «المراد بها - أي: الإمامة:- الرئاسة العامة في شئون الدنيا والدين»[٤].

---

(١) العقائد النسفية (ص ١٧٩) - ط ١٣٢٦ هـ شركة صحافة عثمانية .

(٢) المواقف للإيجي (ص ٣٩٥) - ط عالم الكتب بيروت .

(٣) المقدمة للعلامة ابن خلدون (ص ١٩٠) - ط الرابعة ١٣٩٨ هـ دار الباز للنشر والتوزيع - مكة .

(٤) المجموع شرح المهذب لنووي، التكملة لمحمد نجيب المطيعي جـ٥ من التكملة والسابع عشر من المجموع ص ٥١٧ ن . زكريا علي يوسف .

٨) إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول هذه المعاني.

التعريف المختار:

والمختار من هذه التعريفات ما ذكره ابن خلدون؛ لأنه الجامع المانع في نظري[١]، وبيان ذلك أنه في قوله: » حمل الكافة «يخرج به ولايات الأمراء والقضاة وغيرهم؛ لأن لكل منهم حدوده الخاصة به وصلاحياته المقيدة.

وفي قوله: «وعلى مقتضى النظر الشرعي» قيد لسلطته؛ فالإمام يجب أن تكون سلطاته مقيدة بموافقة الشريعة الإسلامية، وفيه أيضًا وجوب سياسة الدنيا بالدين لا بالأهواء والشهوات والمصالح الفردية، وهذا القيد يخرج به الملك.

وفي قوله: «في مصالحهم الأخروية والدنيوية» تبيين لشمول مسئولية الإمام لمصالح الدين والدنيا لا الاقتصار على طرف دون الآخر.

---

(١) الكلام للدميجي صاحب كتاب: » الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة «ومن كتابه نقلت هذه التعريفات .

لفظ «الإمام» في الكتاب والسنة:

هذا وقد ورد لفظ «الإمام» في القرآن الكريم بصيغة الإفراد في عدة مواضع، منها: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] والمعنى: «أني مُصَيِّرُك للناس إمامًا يؤتم به، ويقتدى به»[2].

كما ورد في قوله تعالى حكاية عن دعاء المؤمنين: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3] أي: «أئمة يقتدي بنا من بعدنا»[4].

وقال البخاري: «أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا»[5].

---

(١) البقرة: ١٢٤ .

(٢) تفسير الطبري المسمى " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " لمحمد بن جرير الطبري (١ / ٥٢٩) ط ثالثة ١٣٨٨هـ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -القاهرة .

(٣) الفرقان: ٧٤ .

(٤) تفسير الطبري (١٩ / ٥٢) .

(٥) صحيح البخاري: ك: الاعتصام ب: الإقتداء بسنن الرسول ﷺ - =

وورد اللفظ بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١] أي: «أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويتبعون عليه»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٣]

أي: ولاة وملوكًا[٤].

كما ورد اللفظ بمعنى: من يؤتم بهم في الشر فقال تعالى:

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[٥] أي: «رؤساء الكفر بالله»[٦]. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ

= فتح الباري (١٣ / ٢٤٨) .

(١) الأنبياء: ٧٣ .

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٤٩) .

(٣) القصص: ٥ .

(٤) تفسير الطبري (٢٠ / ٢٨) .

(٥) التوبة: ١٢ .

(٦) تفسير الطبري (١٠ / ٨٧) .

﴿إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝﴾[1] أي: «جعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به»[2]. لكن إذا أطلق لفظ» الإمام «فإنه لا ينصرف إلى أئمة الباطل؛ لأنه ورد ذكرهم في القرآن بهذه الكلمة مقيدة، كما في هذه الآيات.

وورد اللفظ أيضًا في مواطن كثيرة من الحديث النبوي الشريف منها قوله ﷺ: «الإمام الأعظم الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته...»[3] الحديث وقوله ﷺ: «الأئمة من قريش»[4] والمراد: الحاكم أو الخليفة.

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وهكذا أخذت الإمامة معنى اصطلاحيًّا إسلاميًّا، فقصد بالإمام: خليفة المسلمين وحاكمهم، وتوصف الإمامة

(١) القصص: ٤١ .

(٢) تفسير الطبري (٢٠ / ٧٩) .

(٣) رواه البخاري – واللفظ له – ' انظر: فتح الباري ١٣ / ١١١ ' ورواه مسلم (٣ / ١٤٥٩رقم ١٨٢٩) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣ / ١٨٣) ورواه البخاري ومسلم بغير هذا اللفظ .

أحيانًا بالإمامة العظمى أو الكبرى تمييزًا لها عن الإمامة في الصلاة، على أن الإمامة إذا أطلقت فإنها توجه إلى الإمامة الكبرى أو العامة، كما أوضح ذلك ابن حزم - رحمه الله[(١)].

الترادف بين ألفاظ «الإمام والخليفة وأمير المؤمنين»[(٢)]:

والذي يبدو من استعراض الأحاديث الواردة في باب الخلافة والإمامة أن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين الذين رووها، لم يفرقوا بين لفظ خليفة وإمام، ومن بعد تولية عمر بن الخطاب رضي الله - تعالى -عنه أضافوا إليها لفظ: أمير المؤمنين، وإلى ذلك ذهب العلماء فجعلوها من الكلمات المترادفة المؤدية إلى معنى واحد؛ فيقول النووي: «يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ٩٠) ط ثانية ١٣٩٥ هـ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

(٢) هذا الترادف من قبل دلالتها وإطلاقها على ذات واحدة، أما من حيث معانيها فلكل واحدة منها معناها الخاص بها، مثل القرآن والفرقان والهدى والنور؛ فهي مترادفة من حيث دلالتها على القرآن، ومتباينة من حيث معانيها .

وأمير المؤمنين»[١].

ويقول ابن خلدون: «وإذ قد بيَّنَّا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام»[٢] اهـ ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[٣].

وإلى ذلك ذهب الأستاذ محمد نجيب المطيعي في تكملته للمجموع للنووي حيث قال: «الإمامة والخلافة وإمرة المؤمنين مترادفة»[٤] وكذلك الأستاذ محمد رشيد رضا[٥]، ويفسر الشيخ أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة والإمامة بقوله: «المذاهب السياسة كلها تدور حول الخلافة، وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة؛ لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين

(١) روضة الطالبين ليحيى بن شرف الدين النووي (١٠/٤٩) المكتب الإسلامي، وانظر نحوه في مغني المحتاج للشربيني (٤ / ١٣٢) .

(٢) المقدمة (ص ١٩٠) .

(٣) لسان العرب (٩ / ٨٣) .

(٤) المجموع (١٧ / ٥١٧) .

(٥) الخلافة أو الإمامة العظمى لمحمد رشيد رضا (ص ١٠١) .

يخلف النبي[١] ﷺ في إدارة شئون المسلمين، وتسمى

(١) أجاز الفقهاء تسمية: الإمام خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله ﷺ واختلفوا في تسميته خليفة الله، فأجازه بعضهم اقتباسًا من الخلافة العامة التي للآدميين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ... الآية (البقرة ٣٠) قال الطبري: «أي: مني، يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم، ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه، ونُسِبَ هذا القول إلى ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما» تفسير الطبري (١ / ٢٠٠) . ومنع الجمهور ذلك؛ لأن معنى الآية ليس عليه قال ابن كثير: «أي قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلا بعد جيل» تفسير ابن كثير(١/٩٩) ط الشعب . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالمقصود أن الله- تعالى - لا يخلفه غيره؛ فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه، لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره» منهاج السنة النبوية (١ / ١٣٨) دار الكتب العلمية - بيروت .قال: «بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره . قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا» مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥ / ٤٥) ط أولى ١٣٨٦ هـ الرياض والحديث صحيح رواه مسلم في الحج رقم ١٣٤٢ . واستدل بعضهم على ذلك بما روي عن أبي بكر ﷺ أنه قال: «لست خليفة الله، ولكني خليفة رسول الله» (انظر: مقدمة ابن خلدون (ص١٩٠) وهذا نصٌّ

الإمامة؛ لأن الخليفة كان يسمى إمامًا، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم للصلاة[(١)] أي: يأتمون به، وقد كان الخلفاء هم الذين يتولون إمامة الصلاة خاصة الجمع والأعياد لكن لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وضعفت الناحية

في المسألة لوْ صحَّ، ولكنه ضعيف، فقد رواه ابن سعد في الطبقات عن ابن أبي مليكة قال: «قيل لأبي بكر . . .» الخبر الطبقات (٣ / ١٨٣). ورواه الإمام أحمد في المسند حديث رقم ٥٩ بتحقيق أحمد شاكر، عن ابن أبي مليكة قال: «قيل لأبي بكر . . .». ورواه الخلال بنفس السند - انظر: المسند من مسائل الإمام أحمد ورقة ٣٧ مخطوط.

لكن ابن أبي مليكة هذا لم يسمع من أبي بكر؛ فالخبر ضعيف لانقطاع السند، انظر: المسند بتحقيق أحمد شاكر (١ / ١٧٩) ومجمع الزوائد (٥ / ١٩٨) وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الخلافة: النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف . قال: «وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض. . .» . ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك. انظر: المفردات للراغب (ص ١٥٦) .

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة الجزء الأول في السياسة والعقائد (ص٢١) دار الفكر العربي .

العلمية عند الخلفاء، أخذوا ينيبون عنهم من يقوم مقامهم في إمامة الصلاة، وخطب الجمع والأعياد.

كما يفسر الأستاذ محمد المبارك - رحمه الله - سبب اختيار هذه الألفاظ «الإمام والخليفة وأمير المؤمنين» بأنه ابتعادًا بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان، المختلف اختلافًا أساسيًّا عن المفهوم الإسلامي الجديد[١].

هذا وقد كان الخلفاء الأول يلقبون بالخلفاء؛ كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - استعمل المسلمون لقب " أمير مؤمنين " فيذكر ابن سعد في طبقاته (أنه لما مات أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - وكان يُدْعَى: خليفة رسول الله ﷺ قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا، ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يدعى به من بعده من الخلفاء، قال بعض أصحاب رسول الله

(١) نظام الإسلام (الحكم والدولة) (ص ٦١) ط ثالثة ١٤٠٠ هـ دار الفكر .

ﷺ: «نحن المؤمنون وعمر أميرنا». فدعي عمر: " أمير المؤمنين " فهو أول من سمي بذلك)[١].

وروي «أن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم - رضي الله عنهما - لما قدما من المدينة قالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا أمير المؤمنين، فقال: أنتما والله أصبتما اسمه، فهو الأمير ونحن المؤمنون. فدخل عمرو على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر ما هذا ؟! فقال: أنت الأمير، ونحن المؤمنون. فجرى الكتاب من يومئذ»[٢].

وقيل في سببها غير ذلك[٣].

أما لفظ الأمير بإطلاق فقد كان مستعملا في عهد النبي ﷺ لكن لم يكن مقصورًا على الخليفة، وإنما يسمى به

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٨١) ط ١٣٩٨ هـ - دار بيروت .

(٢) رواه الطبراني، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد (٩ / ٦١) .

(٣) انظر: مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص ٥٩) ط أولى ١٤٠٠ هـ دار الباز للنشر والتوزيع تحقيق د / زينب إبراهيم القاروط.

أمراء الجيوش والأقاليم والمدن ونحو ذلك، وقد ورد في الحديث: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»**[١].

استعمالات لفظي الخلافة والإمامة:

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عادة عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية، بينما الغالب استعمالهم لفظ "الخلافة" في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث - خاصة العقدية - قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيعة والخوارج.

فالشيعة يستخدمون لفظ الإمامة دون الخلافة، ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة؛ فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين،

(١) متفق عليه رواه البخاري - واللفظ له - في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ... فتح الباري (١٣/ ١١١) ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣ / ١٤٦٦/ ١٨٣٥).

والخلافة رئاسة دولة[١] ويريدون من ذلك إثبات أن عليًّا - رضي الله تعالى عنه - كان إمامًا زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه. وفي ذلك فصل للدين عن الدولة، وهذا لا يقره الإسلام.

وممن ذهب إلى التفريق بينهما أيضًا الرافضة الباطنية[٢] وبعض المعتزلة[٣].

وأرجع بعض الكتاب المعاصرين سبب استعمال لفظ " الإمامة " عند أهل السنة إلى تأثر أهل السنة بالشيعة[٤].

ويرى بعضهم أن هذه التسمية من اختراعات الشيعة[٥]

(١) انظر: الإمامة لمحمد حسين آل ياسين ص ١٩ ط ثانية المكتب العالمي - بيروت . وانظر: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية - د / أحمد محمود صبحي (ص ٢٤) ط - دار المعارف .

(٢) انظر: الإمامة وقائم القيامة - د / مصطفى غالب (ص ١٩) ط ١٩٨١ م - مكتبة الهلال .

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ح ٢٠ ق: ١ ص ١٢٩ .

(٤) نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية (ص ٢٣) د / أحمد محمود صبحي .

(٥) المجتمع الإسلامي وأصول الحكم - د / محمد الصادق عفيفي =

وهذا غير صحيح لاستعمال المسلمين هذا اللفظ قبل انشقاق الشيعة عن الجماعة، ولوروده في بعض الآيات والأحاديث كما سبق، ولاستعمال الصحابة رضوان الله عليهم له.

ومما سبق في تعريف " الإمامة " يتضح لنا أن العلماء الذين تصدوا لتعريفها قدَّموا أمور الدين والعناية به وحفظه على أمور الدنيا، بمعنى جعل الثانية تابعة للأولى، وبيان أن سياسة الدنيا يجب أن تكون بالدين وشرائعه وتعاليمه، وأن فصل الدين عن السياسة مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام ولشريعته الربانية، وأن سياسة الدنيا بالقوانين الوضعية أو بالآراء والشهوات النفسية مخالفة أيضًا للإسلام، فلا يجوز أن يطلق على هذا النوع من الحكم بأنه حكم إسلامي، أو متمش مع الشريعة الإسلامية؛ بل هو مخالفة صريحة لها لا يقره الإسلام.

جواز إطلاق لفظ " خليفة " على من سوى الراشدين:

هذا وقد أجاز أهل السنة والجماعة إطلاق كلمة "خلفاء" على من جاءوا بعد الخلفاء الراشدين وإن كانوا

= (ص ١٢٣) ط أولى ١٤٠٠ هـ دار الاعتصام .

ملوكًا بشرط كونهم من قريش؛ لقول النبي ﷺ: **«الخلافة بعدي ثلاثون، ثم يؤت الله الملك من يشاء»** أجازوا ذلك بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ قال: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم»**[1].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: (قوله: " فتكثر " دليل على من سوى الراشدين؛ فإنهم لم يكونوا كثيرًا، وأيضًا قوله:

«فوا ببيعة الأول فالأول» دل على أنهم يختلفون، والراشدون لم يختلفوا)[2].

ومن الأدلة على جواز إطلاق ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه أيضًا، عن جابر بن سمرة - رضي الله تعالى

(١) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ٥٠ (فتح الباري ٦ / ٤٩٥) ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخليفة، (٣ / ١٤٧١/ ١٨٤٢) .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥ / ٢٠ .

عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون اثنا عشر خليفة**». ثم قال كلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «**كلهم من قريش**»(١). فهذا يدل أيضًا على إطلاق الخلافة على من سوى الراشدين، وإن كان فيهم بعض الانحراف والتقصير في بعض واجبات الدين بشرط القرشية؛ لأنهم لم يكونوا يطلقون الخلافة على من ليس بقرشي، ولذلك سموا زعماء العثمانيين بالسلاطين ولم يسموهم الخلفاء.

قال ابن الأزرق: (قال البغوي: لا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين: أمير المؤمنين والخليفة، وإن كان مخالفًا لسيرة أئمة العدل؛ لقيامه بأمر المؤمنين وتسمع المسلمين له)(٢) وذلك بشرط إقامة معالم الدين، وإن قَصَّرُوا هم في أعمال أنفسهم أو ظلموا أوجاروا في الأموال ونحوها، أما إذا لم يقيموا الدين أو انحرفوا انحرافًا يؤدي إلى الكفر فلا يجوز ذلك، بل لا ولاية لهم على المسلمين

---

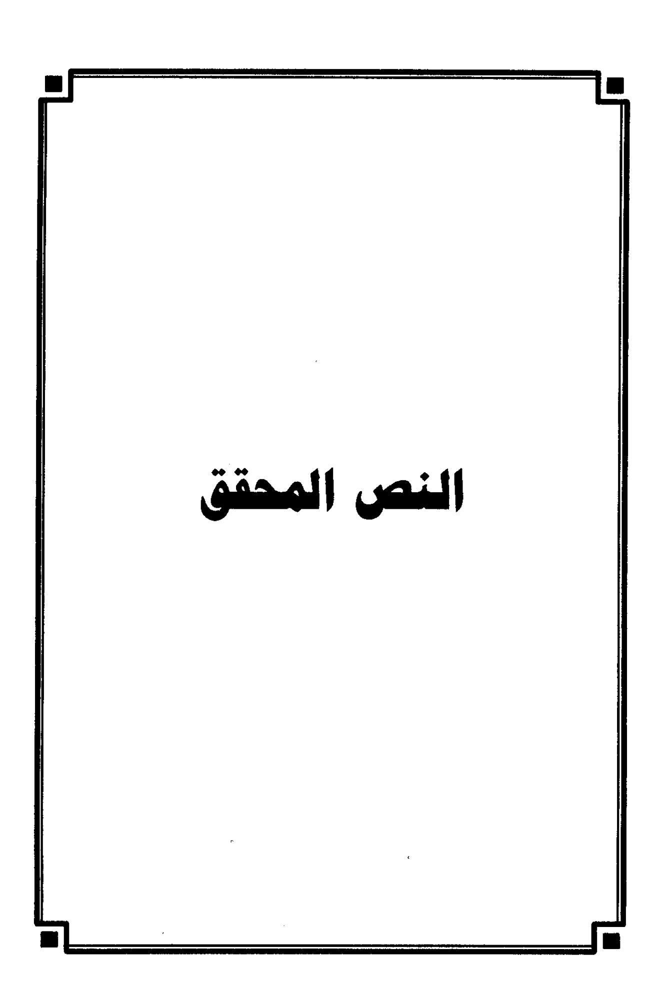
(١) متفق عليه . رواه البخاري كتاب الأحكام، باب ٥١ بلفظ " أمير " بدلا من " خليفة " فتح الباري (١٣ / ٢١١) ومسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش (٣ / ١٤٥٢/ ١٨٢١) .

(٢) بدائع السلك (١ / ٩٢) .

أصلا. بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[١] والله أعلم.

☆☆☆

(١) النساء: ١٤١ .



النص المحقق

المقدمة الزهراء

في

إيضاح الإمامة الكبرى

لمولانا وسيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة
العمدة فخر المحدثين وإمام البلغاء
والمؤرخين البارع البليغ

شمس الدين الذهبي

تغمده الله برحمته آمين

[ق/١ - أ] الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

اتفق أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة على وجوب الإمامة، وأن الأمة فرض عليها الانقياد إلى إمام عدل، حاشا النجدات[١] من الخوارج؛ فقالوا: لا تلزم الإمامة، وإنما على الناس أن يتعاطوا الحق فيما بينهم[٢].

---

(١) هي إحدى رءوس الخوارج الستة
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (٧ / ٤٨١):
وهؤلاء الخوارج لهم أسماء، يقال لهم: الحرورية؛ لأنهم خرجوا بمكان يقال له: "حروراء" ويقال لهم: أهل النهروان؛ لأن عليًّا قاتلهم هناك، ومن أصنافهم: الإباضية أتباع عبد الله بن إباض، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أصحاب نجدة الحروري، وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب؛ بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك؛ فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ... إلخ.

(٢) قال الشهرستاني في " الملل والنحل " (١ / ١١٩ علمية):
واجتمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم؛ فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز.

وهذا قول ساقط.

[واتفق][(١)] كل من ذكرنا على أنه لا يكون في وقت إلا إمام واحد، إلا محمد ابن كرام[(٢)] وأبا الصباح

(١) في «الأصل»: وأصعق. والمثبت أنسب للسياق.

(٢) هو محمد بن كَرَّام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية.
قال الذهبي في " السير " (١١ / ٥٢٣): كان زاهدًا عابدًا ربانيًّا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات - كما قال ابن حبان. اهـ.
وقال ابن حبان: خُذِلَ حتى الْتَقَطَ من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أَوْهَاهَا. "ميزان الاعتدال" (٤ / ٢١).
وقال الذهبي في " السير " (١١ / ٥٢٣ - ٥٢٤): ثم جالس الجُوَيباري، وابن تميم، ولعلهما قد وضعا مائة ألف حديث، وأخذ التقشُّف عن أحمد بن حرب. اهـ.
وقال الذهبي في " الميزان " (٤ / ٢١): وقال أبو العباس السراج: شهدتُ البخاري - ودُفِعَ إليه كتاب من ابن كرّام يسأله عن أحاديث؛ منها: الزهري، عن سالم، عن أبيه مرفوعًا: «الإيمان لا يزيد ولا ينقص».
فكتب أبو عبد الله على ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضربَ الشديد والحبس الطويل!. وقال ابن حبان: جعل ابن كرّام الإيمانَ قولا بلا معرفة. =

السمرقندي[1] وأصحابهما؛ فإنهم أجازوا كون إمامين

= وقال ابن حزم: قال ابن كرّام: الإيمان قول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن.
قلت - القائل الذهبي -: هذا منافق محض، في الدرك الأسفل من النار قطعًا؛ فأيش ينفع ابن كرّام أن يسميه: مؤمنًا؟! اهـ.
وقال الذهبي في " السير " (١١ / ٥٢٤): وكان يقول: الإيمان هو نطقُ اللسان بالتوحيد، مجرّدٌ عن عقد قلب، وعمل جوارح. وقال خلق من الأتباع له: بأن الباري جسمٌ لا كالأجسام، وأن النبيَّ ﷺ تجوزُ منه الكبائر سِوى الكذب.
وقد سُجن ابن كرَّام ثم نُفي، وكان ناشفًا عابدًا، قليل العلم.
ونقل الشهرستاني في " الملل والنحل " (١ / ١٠٤ - ١٠٥ علمية) عن الكرامية أنهم قالوا في الإمامة: إنها تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين، كما قال أهل السنة، إلا أنهم قالوا: يجوز عقد البيعة لإمامين في قطرين، وغرضهم إثبات إمامة معاوية بالشام باتفاق جماعة من الصحابة، وإثبات إمامة أمير المؤمنين علي بالمدينة والعراقيين باتفاق جماعة من الصحابة، ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية قتالا على طلب قتلة عثمان رضي الله عنه واستقلالا بمال بيت المال، ومذهبهم الأصلي: اتهام علي رضي الله عنه في الصبر على ما جرى مع عثمان رضي الله عنه؟والسكوت عنه، وذلك عرق نزع.

(١) ذكره ابن حزم في الفصل (٥/٩٧) ومن أقواله: إن الخلق لم =

وأكثر في وقت واحد، واحتجوا بقول الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير»(١) واحتجوا بأمر علي وابنه مع معاوية(٢).

= يزالوا مع الله، وقوله: لا تحل ذبائح أهل الكتاب، وخطأ فعل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في قتال أهل الردة، وصوّب قول الصحابة اللذين رجعوا عنه في ترك حربهم.

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة - باب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ برقم [٣٦٦٨].
قال الخطابي - تعليقًا على قول الحباب بن المنذر -: «منا أمير ومنكم أمير»: إن العرب لم تكن تعرف السيادة على قوم إلا لمن يكون منهم، وكأنه لم يكن يبلغه حكم الإمارة في الإسلام واختصاص ذلك بقريش، فلما بلغه أمسك عن قوله وبايع هو وقومه أبا بكر - " فتح الباري " (٢/ ١٥٩).

(٢) الذي حدث بين علي ومعاوية هو القتال في موقعة صفين؛ لخروج معاوية على عليٍّ وعدم مبايعته خليفة للمسلمين، ثم مطالبة أهل الشام بالتحكيم بعد أن رفعوا المصاحف على أسنة الرماح - كما ذكر الطبري في " تاريخه " (٥ / ٤٨) - ولكن هذه الرواية عن أبي مخنف لوط بن يحيى، قال عنه الذهبي في " الميزان ": أخباري تالف لا يُوثق به، تركه أبو حاتم وغيره. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم. اهـ. =

= وأما قصة التحكيم في«دُومةِ الجندل» بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص واتفاقهما على خلع علي ومعاوية، وخديعة عمرو ابن العاص لأبي موسى بأن جعله يخلع صاحبه ويثبت هو صاحبه؛ فقد رواها الطبري في " تاريخه " (٥ / ٧٠ - ٧١) عن أبي مخنف - وقد ذكرتُ حاله - قال: حدثني أبو جناب الكلبي«أن عمرًا وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل...» القصة.

وأبو جناب الكلبي - هو يحيى بن أبي حيَّة - قال يحيى القطان: لا أستحل أن أروي عنه.

وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.

وقال أبو زرعة: صدوق يدلس. وقال ابن الدورقي، عن يحيى: أبو جناب ليس به بأس، إلا أنه كان يدلس.

وروى عثمان، عن ابن معين: صدوق. ثم قال عثمان: هو ضعيف.

وقال الفلاس: متروك.

فهذه القصة -رغم شهرتها عند أهل التاريخ - إسنادها ضعيف جدًّا، تالف لا تقوم به حجة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في "العواصم من القواصم " (١٧٧ - ١٨٠):

«هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما شيء أخبر عن المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك؛ فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبِدَع، وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما=

= لما اجتمعا للنظر في الأمر - في عصبة كريمة من الناس؛ منهم ابن عمر ونحوه - عزل عمرو معاوية، قال الشيخ محب الدين الخطيب - معلقًا -: أي: بتقريره مع أبي موسى أن إمامة المسلمين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة».

ذكر الدارقطني بسنده إلى حُضَيْن بن المنذر:

«لمَّا عزل عمرو معاوية جاء - أي: حضين بن المنذر - فضرب فسطاطَه قريبًا من فسطاط معاوية... فبلغ نبأه معاوية؛ فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن هذا - أي: عن عمرو - كذا وكذا؛ فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه! فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليتَ أنتَ وأبو موسى؛ كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس فيه ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يُستعَنْ بكما ففيكما معونة، وإن يُستَغْنَ عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما».

قال: فكانت هي التي فتل معاوية منها نفسه، فأتيته فأخبرته - أي: فأتى حُضين معاوية فأخبره - أن الذي بلغه عنه كما بلغه. فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني[*] فبعثه في خيله، فخرج يركض فرسه

[*] قال الشيخ محب الدين الخطيب: هو أبو الأعور السلمي (وذكوان قبيلة من سليم) واسمه: عمرو بن سفيان، كان من كبار قواد =

ويقول: أين عدوُّ الله؟! أين هذا الفاسق؟!
قال أبو يوسف[*]: أظنه قال: «إنما يريد حوباء نفسه» فخرج [عمرو] إلى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانًا، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول: «إن الضجورَ قد تحتلبُ العُلبة ! يا معاوية، إن الضجور قد تحتلب العلبة»[**]. =

= معاوية. وفي حرب صفين طلب الأشتر أن يبارزه، فترفع أبو الأعور السلمي عن ذلك؛ لأنه لم ير الأشتر من أنداده. انظر " المنتقى من منهاج الاعتدال " ص. ٢٦٤

[*] أي: الفلوسي، رواي هذا الخبر، عن الأسود بن شيبان، عن عبد الله بن مضارب عن حضين.

[**] الضجور: الناقة التي ترغو وتعربد عند الحلب، وقد تحلب الضجور العلبة - مَثَل - ومعناه: إن الناقة التي ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة، وهي قدح ضخم يحلب فيه اللبن، يضربونه للسيئ الخلق قد يصاب منه الرفق واللين، وللبخيل قد يستخرج منه المال.
قال أبو بكر بن العربي: فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه؛ فأعرضوا عن العناوين، وازجروا العاوين، وعرّجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أنْ تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خَصْمَه، ودعوا ما مَضَى؛ =

= فقد قضى الله فيه ما قَضَى، وخذوا لأنفسكم الجدّ فيما يلزمكم اعتقادًا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ورحم الله الربيع بن خثيم؛ فإنه لَمّا قيل له: قُتِل الحسين! قال: أقَتَلوه؟! قالوا: نعم. فقال: ؟﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الزمر: ٤٦) ولم يزد على هذا أبدًا.

فهذا العقل والدين والكف عن أموال المسلمين والتسليم لرب العالمين.

وقال الأستاذ محب الدين الخطيب (هامش ص:١٧٦) تعليقًا على الرواية المشتهرة: «أثبتُ معاويةَ في الأمر كما أثبتُ سيفي هذا في عاتقي»:

أيُّ أمر! إنْ كان الاستمرار في إدارة البلاد التي تحت يده؛ فإنّ هذا الأمر ماض على معاوية وعليّ معًا، فكل منهما باق في الحكم على ما تحت يده، وإنْ كان المراد بالأمر: أمر الإمامة العامة وإمارة المؤمنين؛ فإنّ معاوية لم يكن إمامًا - أي: خليفة - حتى يُثَبِّتَهُ عمرو كما كان».

وهذه هي نقطة المغالطة التي هزأ بها مؤرخو الإفك المفترى؛ فسخروا بجميع قُرَّائِهم وأوهموهم بذلك بأن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن الاتفاق بين الحَكَمين كان على خلعهما معًا، وأنّ أبا موسى خلع الخليفَتَيْن تنفيذًا للاتفاق، وأنَّ عَمْرًا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافًا للاتفاق. =

= وهذا كله كذب وإفك وبهتان، والذي فعله عمرو هو نفس الذي فعله أبو موسى، لا يفترق عنه قط في نقير ولا قطمير، وبقي أمر الإمامة والخلافة أو إمارة المؤمنين معلقًا على نظر أعيان الصحابة؛ ليروا فيه رأيهم متى شاءوا وكيف شاءوا.

وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما في ذلك تقصير من أبي موسى ولا من عمرو؛ فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدَّى إليه اجتهادهما واقتناعهما، ولو لم تكلفهما الطائفتان معًا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأيًا فيها.

ولو كان موقف أبي موسى في هذا الحادث التاريخيّ العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه في التاريخ.

وإن الأجيال التي بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التي كتب الله له بها النجاح والسداد، حتى قال ذو الرمة الشاعر - يخاطب حفيده بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى -:

أبوك تلافى الدين والناس بعد ما تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر
فَشَدَّ إصار الدين أيام أذرح ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر

وقال أيضًا رحمه الله (في هامش ص: ١٧٤ - ١٧٥):

من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة، فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه، ومن ذلك: حادثة التحكيم وقول المغالطين أنّ أبا موسى وعَمْرًا اتفقا على خلع الرجلين؛ فخلعهما أبو موسى واكتفى عَمرو بخلع عليّ دون =

= معاوية.

وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أنّ معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه؛ بل إنّ أبا موسى وعَمْرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية؛ لأنه لم يكن خليفة ولم يقاتل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان، فلمّا وقع التحكيم على إمامة المسلمين واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم، تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة.

أما التصرف العمليّ في إدارة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان: علي متصرف في البلاد التي تحت حُكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه.

فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة، وكان يكون محل للمكر أو الغفلة لو أنّ عَمْرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه وَلَّى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عَمْرو ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحدٌ في الثلاثة عشر قرنًا الماضية.

وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن عليّ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية: =

= أمير المؤمنين، فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه؛ لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى، ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد مَنْ كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟!

إنّ البلاهة لم تكن من أبي موسى، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه، فليفهمها كلُّ من شاء كما يشاء، أما هي فظاهرة واضحة لكل مَنْ يراها كما هي. اهـ.

وأما الحسن بن علي؛ فقد بويع بالخلافة سنة أربعين هجرية، بايعه أهل العراق وكان أول من بايعه: قيس بن سعد.

وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة.

وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان، فلما انتهى كتابه إلى معاوية، أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سَمُرة، فقَدِمَا المدائن وأعطيا الحسن ما أراد، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفًا يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فقام قيس بن سعد في الناس فقال: يا أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام. قالوا: لا؛ بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة. فبايعوا لمعاوية - =

= "تاريخ الطبري" (٥ / ١٥٨- ١٦٠) بتصرف.

وقد جعل الله عز وجل الحسن بن علي رضي الله عنه سببًا في حقن دماء المسلمين واجتماعهم على إمام واحد؛ فقد قال النبي ﷺ- والحسن معه على المنبر -: **«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»** رواه البخاري (٥ / ٣٠٧)، (٧ / ٩٤)، (١٣ / ١٦) من حديث أبي بكرة.

قال ابن كثير في " البداية والنهاية " (٨ / ٢٠): ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، ورجع إليه قيس بن سعد - أحد دهاة العرب - وقد كان عزم على الشقاق، وحصل على بيعة معاوية عامئذٍ الإجماع والاتفاق، ترحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم: عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وجعل كلما مر بحيٍّ من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك هو البار الراشد الممدوح، وليس يجد في صدره حرجًا، ولا تلومًا ولا ندمًا؛ بل هو راضٍ بذلك مستبشر به، وإن كان قد ساء هذا خلقًا من ذويه وأهله وشيعتهم، ولا سيما بعد ذلك بمدد، وهلم جرًّا إلى يومنا هذا.

والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ كما تقدم في الحديث الصحيح، ولله الحمد والمنة.

قلنا: قال عليه الصلاة والسلام: «إن بويع[١] لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر [ق/١ - ب] منهما»[٢] قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥] فحرم التفرق ولو جوزنا إمامين لجاز الثالث والرابع؛ بل في كل مدينة إمام أو قرية، وفي ذلك فساد عريض وهلاك.

ثم الأنصار رجعوا عن قولهم وأطاعوا.

وأما علي والحسين؛ فإن النبي ﷺ أنذر بخارجة تخرج بين طائفتين، يقتلهما أَوْلى الطائفتين بالحق[٣]، فكان قاتل

= فقال معاوية: «أجل، وتربِذ الحالبَ فتدق أنفه، وتكفأ إناءه».
قال الدارقطني - وذكر سندًا عدلا: ربعي، عن أبي موسى - أن عمرو بن العاص قال: «والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحلُّ لهما منه شيء لقد غُبنا ونقص رأيُهما، وايم الله ما كانا مغبونين ولا ناقصي الرأي، ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا، وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا.

(١) زاد في «الأصل»: أحد.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة - باب: إذا بويع لخليفتين - برقم [١٨٥٣] من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «**إذا بويع...**» الحديث.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة - باب: ذكر الخوارج وصفاتهم - =

تلك الطائفة - لذلك أمير المؤمنين علي - فهو صاحب الحق بلا شك.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام: «**بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية**»[1] وكان عليٌّ السابق إلى الإمامة (فمن نازعه

= برقم [١٠٦٥] من طرق عن أبي سعيد الخدري بألفاظ منها:

ا- «**تمرق مارقة عند فُرْقَةٍ من المسلمين، يقتلهما أوْلَى الطائفتين بالحق**» [١٠٦٥/ ١٥٠].

ب- «**تكون في أمتي فِرْقتان، فيخرج من بينهما مارقة، يلي قتلهم أوْلاهم بالحق**» [١٠٦٥/ ١٥١].

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة - باب: التعاون في بناء المسجد - برقم [٤٤٧] من حديث أبي سعيد الخدري. ورواه أيضًا في كتاب الجهاد - باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله - برقم [٢٨١٢].

قال المزي في " تحفة الأشراف " (٣ / ٤٢٧) برقم [٤٢٤٨] بعد أن ذكر عزو الحديث للبخاري في الموضعين: وليس فيه: «**تقتل عمّارًا الفئة الباغية**».

وقال الحافظ في " الفتح " (١ / ٦٤٦): واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع. وقال: إن البخاري لم يذكرها أصلا. وكذا قال أبو مسعود.

قال الحميدي: ولعلها لم تقع للبخاري، أو وقعت فحذفها عمدًا. =

= قال: وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث.
قلت - أي: الحافظ -: ويظهر لي أن البخاري حذفها عمدًا، وذلك لنكتة خفية، وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري.
وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد... فذكر الحديث في بناء المسجد وحملهم لبنة لبنة.
وفيه: فقال أبو سعيد: فحدثني أصحابي، ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: **«يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية»** اهـ.
وابن سمية هو عمار، وسمية اسم أمه.
وهذا الإسناد على شرط مسلم، وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: حدثني من هو خير مني: أبو قتادة... فذكره، فاقتصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره.
وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الأحاديث.
وفي هذا الحديث زيادة أيضًا لم تقع في رواية البخاري، وهي عند الإسماعيلي وأبي نعيم في المستخرج من طريق خالد الواسطي، عن خالد الحذاء وهي: فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمار، ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟»**.
قال: إني أريد من الله الأجر. =

فمخطئ مأجور مجتهد[١].

ثم قول الأنصار: «منا أمير...» فمرادهم: منا والٍ؛ فإذا مات فمنكم والٍ. وهكذا أبدًا لا على أن يكون إمامان في وقت.

وأما معاوية وعلي فما سلم أحدهما للآخر قط، ولذلك أمير المؤمنين الحسن[٢] إلى أن سلمها إلى معاوية. ورأينا

=وقد تقدمت زيادة معمر فيه أيضًا.

(فائدة): روى حديث: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**» جماعة من الصحابة؛ منهم: قتادة بن النعمان - كما تقدم - وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن عليًّا لم يكن مصيبًا في حروبه (فتح الباري ١/٦٤٦).

(١) قال ابن حزم في الفصل (٣ / ٦): ... وأن من نازعه فيها فمخطئ؛ فمعاوية - رحمه الله - مخطئ مأجور مرة؛ لأنه مجتهد. وعنه نقل الذهبي هذه العبارة.

(٢) تولى الحسن الإمارة - الخلافة - بعد مقتل والده علي بن أبي =

الأنصار دعوا إلى سعد، والمهاجرين دعوا إلى أبي بكر، وقعد علي في بيته ما معه غير الزبير وآل بيته فلم يدعهم إلى نفسه، ولا عقد بيعة، ثم تبين له الحق، وأخبر أنه إنما تأخر عن متابعة أبي بكر [ق/ ٢ - أ] (عتبًا عليه)[1] إذا لم يبايعوه مشاورة؛ فأعلمه أبو بكر أنه استعجل خوفًا من

= طالب - رضي الله عنهما - وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه، ثم بايعه الناس بعده.

ثم تنازل الحسن لمعاوية عن الإمارة سنة أربعين - على المشهور - ولهذا يقال لهذا العام عام الجماعة؛ لاجتماع الكلمة فيه على معاوية.

والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين (البداية والنهاية (٨ / ١٦-١٧) بتصرف).

(١) قال الذهبي في " تاريخ الإسلام " الجزء المطبوع ضمن السير (٣ / ٢٧):

وقال عليٌّ والزُّبَيْر: ما غضبنا إلاّ لأنَّا أُخِّرْنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق النَّاس بها بعد رسول الله ﷺ إنَّه لصاحبُ الغار، وإنا لَنَعْرف شَرَفه وخَيْرَهُ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ.

مبادرة أصحاب السقيفة.

ثم إن الكل رجعوا إلى طاعة الصديق؛ لكمال أهليته، سوى سعد[١] فقط، لا لرهبة من أبي بكر ولا لرغبة، ولو

(١) هو سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج، وقد أورد الطبري في "تاريخه" (٣ / ٢١٨ - ٢٢٣) خبرًا مطولا وفيه اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وقولهم: نولي سعد بن عبادة. وأن أبا بكر الصديق وعمر أتيا إلى السقيفة، ثم تكلم أبو بكر الصديق فيهم، ثم تكلم الحباب بن المنذر وتكلم عمر، ثم تحريض الحباب الأنصار على قتال المهاجرين، حتى قال له عمر: إذًا يقتلك الله! فقال له الحباب: بل إياك يقتل.
حتى قال بشير بن سعد والد النعمان بن بشير: ألا إن محمدًا ﷺ من قريش، وقومه أحق به وأولى، وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا؛ فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم! ثم مبايعة الصديق رضي الله عنه وقول أسيد بن حضير - وكان أحد النقباء -: والله لئن وَلِيَتْها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر! فقاموا إليه فبايعوه؛ فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.
ثم ذكر ما حدث بين عمر وسعد بن عبادة ثم عدم مبايعة سعد لأبي بكر الصديق وأن سعدًا كان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم. =

= قلت: هذه الرواية المطولة وفيها ما فيها من رواية هشام بن محمد – وهو ابن السائب الكلبي – قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننتُ أن أحدًا يحدث عنه.

وقال ابن معين: غير ثقة، وليس عن مثله يرُوى الحديث.

وقال الدارقطني وغيره: متروك.

وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة.

وقال الذهبي: وهشام لا يُوثَق به.

قال الحافظ في " اللسان ": واتهمه الأصمعي، وذكره العقيلي وابن الجارود وابن السكن وغيرهم في الضعفاء. انظر " الميزان " (٤ / ٣٠٤ – ٣٠٥)، و" اللسان " (٧ / ٢٦٢) طبعة الفاروق الحديثة بتحقيق غنيم عباس.

كما أن رواية هشام بن محمد عن الطبري عند أبي مخنف، وقد سبق بيان حاله وأنه أخباري تالف.

ورواه أبو مخنف، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وعبد الله هذا ذكره ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل" (٥ / ٩٦) وقال: روى عن جده أبي عمرة، روى عنه المسعودي ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا؛ فهو مجهول، ثم إن روايته عن النبي ﷺمرسلة؛ لأنه لم يدرك زمن النبي ﷺ.

فهذه ثلاث علل في الإسناد، فكيف يُبنى عليه حكم ويعتمده المؤرخون في كتبهم؟ =

= ولا يظن ظان بالإمام الطبري - رحمه الله - سوءًا أو جهلا بذلك؛ فإن العلماء كانوا إذا أسندوا الرواية فقد برئوا، والإمام الطبري كان يؤلف في عصر قد اكتظ بالعلماء الحفاظ الذين كانت لهم دراية بالأسانيد والعلل، فليعلم ذلك.

وقد ساق الحافظ ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " القصة الصحيحة لخبر السقيفة، فقال رحمه الله: وقال محمد بن إسحاق ابن يسار: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: «لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس، إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدًا عهده إليَّ رسول الله ﷺولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسول الله ﷺفإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم؛ فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق =

= منه إن شاء الله.
لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله» وهذا إسناد صحيح.
وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام - رضي الله عنهما - والدليل على ذلك ما رواه البيهقي حيث قال: أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحافظ الإسفراييني، ثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، ثنا أبو بكر بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب قالا: ثنا بندار بن يسار، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: «قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم. فأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم؛ فبايعوه. فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، وقال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا الزبير فجاء قال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أن تشق عصا المسلمين؟! =

= قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله.

فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا، فدعا بعلي بن أبي طالب قال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين؟!

قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه» هذا أو معناه.

قال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، فقلت: يساوي بدنة بل هذا يساوى بدرة.

وقد رواه الإمام أحمد، عن الثقة، عن وهيب مختصرًا، وأخرجه الحاكم في " مستدركه " من طريق عفان بن مسلم، عن وهيب مطولا - كنحو ما تقدم - وروينا من طريق المحاملي، عن القاسم ابن سعيد بن المسيب، عن علي بن عاصم، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد... فذكره مثله في مبايعة علي والزبير - رضي الله عنهما - يومئذ.

وقال موسى بن عقبة في " مغازيه " عن سعد بن إبراهيم، حدثني أبي «أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة، ولا سألتها الله في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير: =

= ما [غضبنا] إلا لأننا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها؛ إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي» وهذا اللائق بعلي والذي تدل عليه الآثار من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصة بعد موت رسول الله ﷺ كما سنورده، وبذله له النصيحة والمشورة بين يديه، وأما ما يأتي من مبايعة إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله ﷺ: في قوله: **«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»** كما تقدم إيراد أسانيده وألفاظه، ولله الحمد، وقد كتبنا هذه الطرق مستقصاة في الكتاب الذي أفردنا في سيرة الصديق رضي الله عنه وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وما روي عنه من الأحكام مبوبة على أبواب العلم، ولله الحمد والمنة. انظر « البداية والنهاية » (٦ / ٣٠٥ - ٣٠٧).

وساق قصة السقيفة البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦٨) في قصة موت النبي ﷺ «... فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي

ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت؛ فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله». ورواها البخاري أيضًا برقم (٦٨٣٠) وفيها قول عمر:

ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلانا؛ فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما =

= واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟

فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم.

فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا سعد بن عبادة.

فقلت: ما له؟

قالوا: يوعك.

فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم؛ فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من =

قال من لا يعلم: بل من خافوه، فترى ما الذي حملهم

= خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عندالموت شيئًا لا أجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة !

فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد؛ فمن بايع رجلا مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.

على طاعته وهو في السياق في استخلافه عليهم عمر؛ أكانوا يطيعون أخا بني تيم حيًّا وميتًا في شأن الإمارة، ويعصون سيد البشر ويميتون نصه على ابن عمه ويكتمونه.

هذا والله لو قاله أحد من الصبيان ليئس من فلاحهم؛ بل هذه المقولة سُلم إلى الزندقة، ثم إن لو نازع الأمر علي وطلبه - مع فرط شجاعته وكمال دينه وشرفه وسابقته - لبادر معه عمه العباس، سيد قريش.

ومثل ابن عمته الزبير، حواري رسول الله ﷺ ومثل أبي سفيان بن حرب في بني أمية وأمثالهم.

ولقد صدق الصادق المصدوق حيث يقول: **«يأبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر»**[1].

فقل لي: فما الموجب لمحبتهم لأبي بكر وتقديمه ومبايعته؟

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في "مسنده" برقم [١٥٠٨] وابن سعد في "الطبقات" (٣ / ١٨٠) وابن أبي عاصم في " السنة " برقم [١١٦٣] عن عائشة قالت: «قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: **«ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحد بعدي. ثم قال: دعيه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»** وصححه العلامة الألباني في تخريجه للسنة.

ألفرط قواه، أم لكره بني تيم وسؤددهم، أم لكره عَبيده [ق/ ٢ - ب] وأمواله.

رجل بويع فغدا على يده أبراد ليتكسب فيها وينفق على عياله حتى ردوه، وفرضوا له في بيت المال نفقته بالمعروف، فقام به وبخليفته عُمَر الدِّينُ وفتح الممالك، وزال ملك كسرى وقيصر والمقوقس، وذل الشرك. فأرغم الله بأنفك بابًا عظيمًا، ولكن حبك الشيء يعمي ويصم، ولو شاء الله بك الفلاح لأكثرت من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، ثم العجب من الأنصار الذين حبهم إيمان، والذين بايعوا نبيهم على الموت، وآووه ونصروه وعادوا جماهير العرب؛ بل وحاربوا جيوش الروم والفرس والقبط مع كثرتهم والتفافهم على سيدهم وكبيرهم سعد.

كيف تفلكوا[٢] عنه لمجيء ثلاثة أنفس من قريش غرباء

(١) الحشر: ١٠ .

(٢) جاء في اللسان (مادة: فلك) وفلَّك الرَّجُلُ في الأمر وأفلك: لَجَّ. وجاء في اللسان (مادة: فلل) أيضًا: ومنه حديث ابن عوف: «ولا تفلوا المُدَى بالاختلاف بينكم». المدى: جمع مُدْيَة، وهي=

عن بلدهم، فوالله ما انقادوا لهم وبايعوا الصديق إلا لما نُبهوا على الحق(١).

فرضًا أنهم عَجزُوا عن الثلاثة وجبُنوا - وهذا فرض محال - أما كانوا يقولون: لا لنا ولا لكم أيها الثلاثة؛ بل لمن نص لنا الرسول عليه بالخلافة [ق/٣ - أ] بزعمك.

فقدتك يا دائص(٢) ما أبطل حجتك وأشد هواك وشغبك؛ ففيك شائبة من اليهود الذين جحدوا الحق، وقتلوا الأنبياء بنفس جهلية ومعاندة إبليسية !

فلو تركتَ الهوى ونابذت الجهل وتزودت بالعلم واتبعت الإنصاف لأفلحت.

أعاذنا الله وإياك من المكابرة والعناد، فَكِّر فيما تقول؛ فإنك عمدت إلى السابقين [الأولين](٣) من أهل بدر وأهل

= السِّكِّين، كنى بفلِّها عن النِّزاع والشقاق.
والفل: الثلم في أي شيء كان.
وتفككوا: انفصلوا.

(١) قصد رحمه الله: أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح؛ فهم الذين حضروا إلى سقيفة بني ساعدة.

(٢) أي: زائغ.

(٣) في «الأصل»: الأولون. وهو خطأ.

بيعة الرضوان وخير أمة أخرجت للناس، ومن قال الله - تعالى - فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] فرميتهم بحربة لا تكاد تقع من أوباش الأجناد ولا من مسلمة التتار؛ بل ولا من كفرتهم ولا من حرامية الخوارزمية ولا من أذلة المنافقين.

فأين تركب بقلك؟![2] فانظر ويحك ما تقول، وما يترتب على ما تزعم؟! فإنك تجعلهم شر الأمم وأظلم الطوائف، وتَنسبهُمْ إلى النفاق وكتمان الدِّين.

فوالله لو جرى بينهم منافسة وخصام على الإمرة - والعياذ بالله تعالى - لما ثنانا ذلك عن حبهم وتوقيرهم.

فما زال الأصحاب يتنافسون ويغضب بعضهم من بعض ثم يقفون إلى الصلح والمودة؛ فقد تألم موسى صلوات [ق/٣ - ب] الله عليه من أخيه هارون عليه السلام وانزعج منه وأخذ بلحيته، ثم سكن واستغفر لنفسه ولأخيه، ثم هذان الخيران: أبو بكر [وعمر][3] قد

(١) الحجرات: ١٥.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) ليست في «الأصل» وهي زيادة يقتضيها السياق.

اختصما - كما في الحديث الثابت[١].

ثم هؤلاء الذين تابوا عن بيعة أبي بكر فقد وقع بينهم؛ فقد اختصم علي والعباس في قضية فدك، وتحاكما إلى عمر[٢] فكان ماذا؟

(١) رواه أحمد (٤ / ٦) والبخاري برقم [٤٨٤٥] عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: «كاد الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكا: أبو بكر وعُمَر؛ لما قَدِمَ على النَّبيِّ ﷺ وَفْدُ بني تميم، أشار أحدهما بالأَقْرَع بن حابس الحَنْظَليِّ أخي بني مجَاشع، وأشار الآخر بغيره. قال أبو بكر لعُمَرَ: إنَّما أرَدْت خِلافي! فقال عمرُ: ما أردتُ خِلافَكَ؛ فارتفعت أصواتُهما عند النَّبيِّ ﷺ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾؟[الحجرات: ٢] قال ابن أبي مَلَيْكَةَ: قال ابن الزُّبَير: فكان عُمَر بعد ذلك - ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر - إذا حَدَّث النَّبيَّ حدَّثَهُ كَأَخي السرار، لم يُسْمِعْهُ حتى يَسْتَفْهِمَهُ» اللفظ لأحمد.

(٢) رواه البخاري برقم [٤٠٣٣، ٤٠٣٤] عن مالك بن أوس بن الحَدَثان النَّصريُّ «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه؛ إذ جاءه حاجبُهُ يَرْفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزُّبير وسعد يستأذنون؟

فقال: نعم فأدخِلْهم.

فلبث قليلا ثُمَّ جاء فقال: هل لك في عباس وعلي يستأذِنان؟ =

= قال: نعم.
فلما دَخَلا قال عبّاس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله ﷺ من بني النَّضِير - فاستبَّ علي وعباس. فقال الرَّهطُ: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر: اتَّئدوا، أنشُدُكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: **«لا نَورثُ، ما تركنا صدقة»** - يريد بذلك نفسه؟
قال: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عباس وعلي فقال: أنشدكما بالله، هل تعلمان أنَّ رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: نعم.
قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله - سبحانَهُ - قد خَصَّ رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يُعطه أحدًا غيره، فقال جَلَّ ذِكرهُ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ ... [الحشر: ٦] إلى قوله: ﴿قَدِيرٞ﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ثمَّ والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم، لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المالُ منها، فكان رسول الله ﷺ يُنفِقُ على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذُ ما بقي فيجعله مَجعَلَ مال الله، فعمل ذلك رسول الله ﷺ حياته، ثمَّ تُوفيِّ النبي ﷺ فقال أبو بكر: فأنا ولي رسول الله ﷺ فقبضَهَ أبو بكر، فعمل فيه بما عمل به رسول الله ﷺ وأنتم حينئذٍ - فأقبل على علي وعباس وقال -: تذكران أنَّ أبا بكر عمل فيه كما تقولان، والله يعلم إنه فيه لصادق =

= بار راشد تابع للحق، ثمَّ توَفيّ الله أبا بكر فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر، فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم أني فيه صادقٌ بارٌّ راشد تابع للحق، ثمَّ جِئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع، فجئتني - يعني: عباسًا - فقلت لكما: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نورثُ؛ ما تركنا صدقة**»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلتُ: إن شئتما دفعته إليكما على أنَّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وما عملت فيه مذ وليت، وإلا فلا تُكلماني.

فقلتما: ادفعه إلينا بذلك، فدفعته إليكما، أفَتلْتمِسان مني قضاء غير ذلك؟

فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاءٍ غير ذلك حتى تقوم الساعة؛ فإن عجَزْتُما عنه فادفعا إليَّ، فأنا أكفيكُماه».

قال: فحدَّثت هذا الحديث عُروة بن الزُّبير فقال: «صدق مالكُ بن أوس، أنا سمعت عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ تقول: أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان إلى أبي بكر يسألْنَهُ ثُمنَهنَّ مما أفاء الله على رسولِهِ ﷺ فكنتُ أنا أرُدُّهنَّ، فقلت لهنَّ: ألا تتَّقينَ الله؟! ألم تعلمن أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**» - يريد بذلك نفسه - إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال. فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبَرَتْهنَّ. قال: فكانت هذه الصدقة بيد علي، =

فقد وقع بين علي وبين الزبير[(١)] وبين علي وبين [بني][(٢)] أمية[(٣)] وبلغوا إلى السيف باجتهاد كل واحد منهم، والله يغفر لهم ويرضى عنهم.

ثم هذا نبينا ﷺ قد تألم لابنته فاطمة وغضب لها لما بلغه أن أمير المؤمنين علي عازم على أن يتزوج عليها ابنة الشقي أبي جهل، فلما رأى علي انزعاج النبي ﷺ للبُغْضَة النبوية ترك الخطبة[(٤)]. وما نقصت أصلا رتبته بذلك عند

= منعها عليٌّ عباسًا فغلبه عليها. ثمَّ كانت بيد حسن بن علي، ثم بيد حُسين بن علي، ثم بيد علي بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يَتداولاَنِها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حَقًّا» ورواه مسلم (٥ / ١٥١، ١٥٣).

(١) وهي موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ التي خرج فيها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام على علي وقاتلاه، وخرجت معهما أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهم أجمعين وكانوا يطالبون بدم عثمان، وقتل طلحة والزبير، وأعيدت السيدة عائشة مكرمة.

(٢) ليست في "الأصل" وهي زيادة يقتضيها السياق.

(٣) وهي موقعة صفين سنة ٣٧ هـ وكانت بين معاوية ومعه أهل الشام، وأمير المؤمنين علي، وسبق الكلام على هذه الموقعة.

(٤) رواه البخاري برقم [٣٧٢٩] ومسلم برقم [٢٤٤٩] عن المسور بن=

النبي ﷺ.

فقبح الله الجهل والهوى.

ثم أين كان علي والزبير وبنو هاشم في قوتهم وشجاعتهم عن قتل رجل تاجر يأخذ الأبراد على يده ويتكسب، قليل المال، قليل العشيرة، قليل الخدم، عديم الحرس والحُجّاب والتحرر، قد نافق وظلم وللنص كتم؟!

وما الذي [ق/ ٤ - أ] أخر عليًّا وذويه عن اغتياله دفعًا للباطل وإقامة للحق؛ بل على الفضل لأهله، وبايع [أبا][1] بكر لسابقته وفضله؛ فرضي الله عنهما.

ثم لو قيل: إن كل الصحابة نسوا النص، فمن أين وقع

= مخرمة قال: «إن عليًّا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل! فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: **«أما بعد؛ أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد»**. فترك علي الخطبة».

(١) في «الأصل»: أبي. وما أثبته هو الصواب

للرافضة، ومَنْ نَقَلَهُ إليهم؟! فهذا كله هوس ومحال.

وإن قالوا: قد قَتَل علي طائفة من قريش، فأثر ذلك نفورًا منه لعشائرهم وحقدًا في نفوسهم.

قلنا: هذا تمويه ضعيف، وكذب صريح؛ لأنه لو ساغ لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر؛ فإنه قتل من كل قبيلة من هؤلاء رجلا أو اثنين، فقتل من بني عامر واحدًا - وهو عمرو بن عبد وُدّ - وقتل من بني مخزوم وبني الدار رجالا، وقتل من بني عبد شمس: الوليد بن عتبة، والعاص بن سعيد بن العاص، وشارك في قتل عتبة بن ربيعة، وقتل عتبة بن أبي مُعَيط، في قول.

وقد علم من له أدنى علم بالأخبار أن هذه القبائل لم يكن ولا لواحد منهم يوم السقيفة ذكر، ولا عقد ولا حل، اللهم إلا أن أبا سفيان كان مائلا إلى عليٍّ عَصَبيّة ومباهتة وصول الأمر إلى بني تيم لا للدين وكان ابنه يزيد بن أبي سفيان [ق/ ٤ - ب] وخالد بن سعيد بن العاص والحارث ابن هشام مائلين إلى الأنصار تدينًا، والأنصار هم قتلوا أبا جهل - وهو أخو الحارث بن هشام.

ثم كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مع علي على

معاوية، فدعوا القحة[١] وعرفونا من الذي قتل علي من الأنصار؟ حتى يئول بهم الحقد على كتمان حقه والتخلف عنه؛ فإن أكثرهم ما حاربوا معه، ثم قد كان لطلحة والزبير وسعد من قتل المشركين عدة كما لعلي، فما الذي خصّه بحقد ونفور دون هؤلاء؟!.

ثم آل بالرافضة قلة الحياء وصفاقة الوجوه، وعدم الفكر فيما يتفوهون به إلى أن قالوا: حَمَلَ الحقد والشحناء سعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وأسامة ومحمد ابن مسلمة وأبا أيوب وأبا هريرة وزيدًا - في أمثالهم من المهاجرين والأنصار - على التأخر عن بيعة علي، فليت شعري أي كلمة حسنة نقلت أنها جرت بينهم وبينه، وإنما كان رأى هؤلاء وأشباههم أنهم لا يرون القتال في الفرقة؛ فانجمعوا عن المحاربة، فلما وقع الاتفاق على معاوية، ونزل له السيد الحسن عن الأمر سمي: عام الجماعة. واتفقت الأمة كلها على رجل، وهذا يبين لك [ق/ ٥ - أ] أن كل الموجودين في المملكة الإسلامية عامئذ رأوا جواز خلافة المفضول مع وجود الأفضل.

(١) وهي: بمعنى الوقاحة.

فقد كان جماعة من الصحابة بايعوا معاوية، وهم بيقين أفضل منه كسعد[١] وابن عمر[٢] والحسن[٣] وعدة من أهل بدر والحديبية.

فكان ماذا؟ كان خليقًا للإمارة شريفًا مهيبًا شجاعًا حليمًا جوادًا كثير المحاسن على هنات له؛ فالله يسامحه ويعفو عنه، فهو أول الملوك، ومن أكبرهم وأحزمهم، ولم يبلغ إلى رتبة الخلفاء الراشدين حاشا وكلا. وكذلك قَعَدَ عن

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة ٥٥ هـ على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة. [تقريب التهذيب].

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر، مات سنة ٧٣ هـ في آخرها أو أول التي تليها. [تقريب التهذيب].

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه. مات شهيدًا بالسمّ سنة ٤٩ هـ، وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها.

ابن الزبير[١]

ومروان[٢] جماعة من الفضلاء، فلما انفرد عبد الملك ابن مروان[٣] بالأمر بايعوه وأجمعوا عليه؛ لا رضًا عنه،

---

(١) وقد بويع عبد الله بن الزبير بن العوام بالخلافة عند موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ، وحكم على الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وبعض الشام.
ولم يستوسق له الأمر، ومن ثَمَّ لم يَعُدَّه بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعَدَّ دولته زمن فرقة؛ فإن مروان غلب على الشام ثم مصر، وقام عند مصرعه ابنه عبد الملك بن مروان وحارب ابن الزبير، وقُتِلَ ابن الزبير - رحمه الله - فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله، واستوسق لهم الأمر، إلى أن قهرهم بنو العباس بعد مُلك ستين عامًا. [انظر سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٤].

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو عبد الملك الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة ٦٤ هـ، ومات سنة خمس في رمضان، وله ثلاث - أو إحدى - وستون سنة.
لا تثبت له صحبة.

(٣) قال الذهبي: تملَّك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة، وقتل أخاه مصعبًا في وقعة مَسْكِن، واستولى على العراق، وجهز الحَجَّاج لحرب ابن الزبير، فقتل ابن الزبير سنة ٧٢ هـ، واستوسقت المماليك لعبد الملك. [السير ٤/ ٢٤٧].

ولا عداوة لابن الزبير؛ ولا تفضيلا لعبد الملك على من هو خير منه وأفضل؛ فإلى جنون الرافضة المنتهى.

ثم لو كان ما افتروه ممكنًا، فما الذي دَعى عمر إلى إدخاله في أهل الشورى. فقد أَخرجَ من أهل الشورى قرابته سعيد بن زيد العدوي البدري أحد العشرة[١] بكونه من عشيرته. وذكره عبد الله بن عمر، فصَح أن أهل الحل والعقد الذين هم خير أمة أنزلوا الإمام [ق/ ٥ - ب] عليًّا منزلته غير غالين فيه ولا جافين عنه.

ثم لما دعاهم عَلِيٌّ إلى البيعة، وبايعه الملأ من المهاجرين والأنصار، ما رأينا أحدًا منهم خاف منه لما سلف منه في كتمان النص - على زعمكم وإفككم - ولا اعتذر إليه من المبايعة لمن قبله، ولا عَنَّفَ هو أحدًا منهم على جحد النص ولا سَبَّه؛ فإنه صار إليه وتمكن من الأضداد.

تلك عقول لكم كادها باريها وضلها، ولم يرد الله أن يهديها، ولا والله رأينا الإمام أبا الحسن قال لأصحابه[٢]

(١) هو سعيد بن زيد بن عمر بن نُفيل العدوي أبو الأعور، مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين (انظر التقريب لابن حجر).

(٢) كتب في الهامش: "خ" للصحابة. أي: في نسخة: للصحابة.

- وقد قتل أمير المؤمنين عمر -: وراح من يُخشى ويخاف، ويحكم كم هذا الظلم؟ وحتى متى هذا الجحد؟ وإلى كم تكتمون نص نبيكم بي؟ وإلى كم تعرضون عن فضل البائن عليكم؟ هب أنه كظم وسكت، أما كان في بني هاشم أحد له شهامة وصدع بالحق يقول لهم هذا الكلام.

ولما كان العباس[(١)] في جلالته ووقاره قادرًا على أن يصرِّحَ فيهم بذلك، ولا عقيل بن أبي طالب[(٢)] الذي كان يُدَاديه معاوية.

فيا لله العجب من الهوى [الذي][(٣)] في غلاة الشيعة والكذب.

ثم قل لي: أزالت الرأفة والمراقبة من قلوب سائر المؤمنين وسادة المجاهدين أن يعملوا في حق مثل علي

(١) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين.

(٢) هو عقيل بن أبي طالب الهاشمي أخو علي وجعفر، وكان الأسن، صحابي عالم بالنسب، مات سنة ستين، وقيل: بعدها.

(٣) في " الأصل ": الذين.

بمقتضى أمر المصطفى ﷺ [ق/٦ - أ] ونصه ولا يبوحون بذكره إلى أن يقتل عثمان صبرًا أو يبادر قتلته وغيرهم من [الكبر] إلى نصب علي إمامًا باجتهادهم، ولا يقومون بذلك بإظهار ما كتموه من النص.

لقد سمعت لو ناديت حيًّا
ولكن لا حياة لمن تنادي

إنها والله لإحدى الكبر إصْفَاق[1] جميع خير أمة أخرجت للناس من أوائل المغرب إلى خراسان، ومن الجزيرة إلى أقصى اليمن على السكوت عن حق علي رضي الله عنه واتفاقهم على ظلمه، ومنعهم حقه وليس ثم شيء يخافونه قط ولا أحد يشاقونه، وذلك هو المحال الممتنع، ثم من الغد يبايعونه ويطيعونه، ويبذلون نفوسهم دونه في مثل يوم صفين والجمل، والرءوس تبدر، والدماء كالسيول، والمصاحف ترفع على الرماح، والحالة هذه، ولا أحد ينعق بين القوم.

ويلكم اتقوا الله، وهلموا إلى نص نبيكم؛ فهلا نطق الإمام علي - كرم الله وجهه - بذلك يوم صفين؟ بل

(١) كتب في الهامش: خ: اتفاق.

أجاب إلى حكم الحكمين.

وقال هشام بن الحكم الرافضي[١]: كيف لا يجوز عليهم كتمان النص وقد قتل بعضهم بعضًا؟!

قلنا: يا جاهل، هذا أعظم حجة عليك؛ لأن عليًّا أول من قاتل حين افترق الناس فما لحقهم [ق/٦ - ب] لحقه، ولكن كان الفريقان مجتهدين متأولين، والله يغفر لهم، وعلي أولى بالحق ممن قاتله من الشاميين وغيرهم، فقد سماهم النبي ﷺ فئة باغية، ونحن نكف عما شجر من الصحابة، وأنت فبجهلك تفرق بينهم وتحط على سائرهم

(١) هو هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني، من أهل الكوفة، سكن بغداد، وكان من كبار الرافضة ومشاهيرهم. وكان مجسمًا يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، ويزعم أن علم الله محدث.
ذكر ذلك ابن حزم.
قال ابن قتيبة في " مختلف الحديث ": كان من الغلاة ويقول بالجبر الشديد، ويبالغ في ذلك، ويجوز المحال الذي لا يتردد في بطلانه ذو عقل، وكان يسكن الكرخ، وينقطع إلى يحيى بن خالد.
قال محمد بن إسحاق النديم: كان عارفًا بصناعة الكلام، له فيه مصنفات كثيرة، وكان من أصحاب جعفر الصادق، ومات بعد نكبة البرامكة بمديدة متسترًا. ويقال: عاش إلى خلافة المأمون. [انظر لسان الميزان (٧/ ٢٥٩) طبعة دار الفاروق الحديثة].

فيما لم يتشاجروا فيه؛ فأي الفريقين أحق بالأمن وأقرب إلى الورع؟

فلما استشهد الإمام علي أقام الحسن، ثم أقبل في كتائب أمثال الجبال ومعه مائة ألف عنان يموتون لموته، فما الذي جعله في ثقة من تسليم الأمر إلى معاوية وإعانته على الضلال وإبطال حقه من العهد النبوي إليه وإلى أبيه، ثم يوافقه على ذلك أخوه الحسين الشهيد، ويسكت؛ فما نقض يومًا بيعة معاوية أبدًا.

فلما مات معاوية قام الحسين وسار يطلب الإمارة، ويخرج من القعود عن الحرب، فقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فلولا أنه رأى مبايعته لمعاوية سائغة لفعل معه كما فعل مع يزيد.

هذا ما لا يماري فيه منصف؛ فإن السبطين سلما الأمر إلى معاوية طائعين غير مكرهين و - وعن ومنعة وجيش لجب.

فدل ذلك [ق/٧ - أ] على أنهما فعلا المباح، وأصلح الله -تعالى- بين الأمة بالسيد الحسن، وحقنت الدماء وسكنت الدهماء، وانعقد الإجماع على مبايعة المفضول الكامل السياسة مع وجود الأفضل الأكمل، ولله الحمد.

ولو امتنع السبطان في ذلك الوقت ونَواصي العرب في يد الحسن، لأوشك أن يكون لهم النصرة على أهل الشام.

فهذا زياد، ومن هو زياد؟! امتنع وهو فِقَعَةُ[١] القاع لا عشيرة له ولا نسب ولا سابقة، فما أطاق معاوية إلا بالمداراة والملاطفة حتى ولاه واستلحقه به أخًا[٢].

وفي هذا عبرة لمن أنصف.

سلمنا سابقة مولانا علي وهجرته وجهاده وفضائله وأنه أفضل أهل زمانه، فما الذي جعل السيدين السبطين بمنزلته، وفي الوقت من هو قريب من أبيهما في المرتبة كسعد وسعيد، ثم كابن عمر الذي لو لا شيء لقلد الخلافة يوم الحكمين.

ولذلك لا نجد لزين العابدين علي بن الحسين سبوقًا مع

---

(١) جمع فقع، وهو الأبيض الرخو من الكمأة، وهو أردؤها، ويشبه به الرجل الذليل. " اللسان " مادة "فقع" بتصرف.

(٢) ذكر ذلك الطبري في "تاريخه" (٥/ ٢١٤) في أحداث سنة ٤٤هـ. قال: وفي هذه السنة استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان - فيما قيل.

عظمته وشرفه في علم ولا عمل على سعيد بن المسيب والقاسم وسالم وعروة.

وكذا لا يجدون لأبي جعفر محمد بن علي سبوقًا في العلم والعمل مع أهليته للخلافة على أخيه زيد وابن شهاب وعبد الرحمن بن القاسم [ق/٧ - ب] وعمر بن عبد العزيز، ولا جعفر بن محمد مع صلاحيته للإمامة على عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب.

ولا لموسى بن جعفر على عبد الله بن عبد العزيز الزاهد العمري. ولا لعلي بن موسى الرضا على محمد بن إدريس الشافعي المطلبي.

وأما ولد الرضا وحفيده علي بن محمد و[....](١) الحسن بن محمد العسكري، فهؤلاء لهم شرف وسؤدد في الجملة ولكن بينهم وبين زين العابدين وابنه الباقر وحفيده الصادق بون بعيد في العلم والفضل.

وأما ثاني عشرتهم المنتظر المعدوم، ففيه قولان لا ثالث لهما ألبتة إما أنه وُجدَ ثم مات أو لم يكن قط، وهو الأشبه.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

فأما أن يكون دخل وهو صبي في سرداب بلد سُرَّ من رأى[١] من نحو من أربعمائة وسبعين عامًا وهو إلى الآن حي يرزق، ولابد أن يخرج ويملؤها عدلا وقسطًا، وأنه يعلم علم النبي ﷺ جميعه، وعلم الإمام علي كله، لا بل علم الأولين والآخرين وأنه لا يجوز عليه سهو ولا نسيان وأنه معصوم وأنه وأنه...، فهذا خرافات الكذابين من الرافضة الذين لا يستحيون من الله فيما يدعونه، وإنما نعلم المنتظر الذي هو الآن حي، ومن قبل الإسلام [ق/٨ - أ] يدين إلا المَسيحَين: مسيح الهدى الذي هو الآن في السماء، ومسيح الضلالة المغلول في جزيرة ببحر الروم، وهو الدجال - شر منتظر - الذي يقتله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بباب لد.

ثم هذا ريحانة رسول الله ﷺ الحسين قد تأخر، وقل ما روى أو وأفتى، لعل مجموع ذلك المروي عنه لا يبلغ ورقتين.

ثم ابن عمه عبد الله بن عباس - حبر الأمة - قد جُمِعَ فقهه في عشرين جزءًا، ويبلغ حديثه نحوًا من ذلك،

(١) وهي بلدة سامراء.

وكذلك علي بن الحسين لا يبلغ حديثه وفتياه ثلاث ورقات أو أرجح.

وسعيد بن المسيب لو جمع علمه وفقهه وحديثه لبلغ مجلدًا تامًا. وأما أبو جعفر فله روايات وأقوال تبلغ جزءين، وكذلك ولده جعفر؛ بل أكثر من ذلك.

ثم موسى الكاظم؛ فلا يبلغ نصف ذلك، وهم يقولون: إن الإمام من هؤلاء الاثنى عشر عنده علم جميع الشريعة.

فما بال من ذكرنا مع حرمتهم وتمكنهم من البلاغ أظهروا النذر اليسير منه وكتموا سائره؛ فإن كان غرضهم كتمان العلم فهذه عظيمة ومصيبة، ثم لماذا أعلنوا ما يجب كتمانه، فدعوا الأباطيل والدعاوى الكاذبة، فإنما العلم [ق/٨ - ب] بالتعليم، وإن زعمتم أن الله يعلمهم، أو يأتيهم بذلك وحي فقد ساويتموهم بالأنبياء، نعوذ بالله من الخذلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

☆☆☆

كتب في الهامش

بلغ مقابلة على أصله المنقول منه، وصحح ولله الحمد.

كتب في الصفحة الأخيرة هذا التملك

اشترى العبد الفقير إلى الله - تعالى - صاحب العجز والتقصير الفقير عبد الله ابن المرحوم الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ أحمد من مولانا الشيخ سالم العرقي الأزهري، جميع هذا المجموع المبارك وذلك بتاريخ يوم الخميس المبارك، ثالث شهر محرم الحرام افتتاح عام ١٠٥٢ اثنين وخمسين وألف.

غفر الله لكاتبه ولقارئه ولجميع المسلمين أجمعين آمين، والحمد الله رب العالمين.

وكتب على هامش الصفحة الأولى (الغلاف)

لكاتبه فيه: لله ما قد صاغه الذهبي من كلم مُصفى

ضمن در مثقب، كلم عليه حلاوة وطلاوة، لا يدع حقًّا أن ينقط بالذهب.

☆☆☆

فهرس

☆☆☆


I.P.C
المركز الدولي
للطباعة
012/7930415
012/4179887